الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط موسومة بـــ:

الأوضاع السياسية و الاجتماعية للمدن الأندلسية في ظلّ الهيمنة النصرانية (ق5-7ه/11-13م)

إعداد الطالبيـــن :

❖ بلخروبي ميلـــود.

❖ دحـــــام عمـــر.

إشـــراف :

د.حاكمي الحبيب .

لجنة المناقشة

د.بوخاري عمـــر	رئيسا
أ.تريـــكي فتيـــحة	مناقـــشا
د.حـــاكمي الحبيـــب	مشرفا و مقررا

السنة الجامعية : 1439–1440هـ/2018–2019م

[وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾)

سورة الإسراء ،الآية 85

[وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾)

سورة طه ،الآية 114

شكر و عرفان

الشكر لله أولا و أخيرا.

ثمّ الشكر للوالدين الكريمين.

و الشكر للعائلة الكبيرة.

و الشكر لمن قدم لنا يد المساعدة سواءً من بعيد
أو من قريب و لو بكلمة طيبة.

و نتقدم بجزيل الشكر إلى جميع أساتذتنا و نخصّ بالذكر الأستاذ الدكتور " حاكمي الحبيب " على كل توجيهاته القيّمة طيلة فترة الإشراف وإلى جميع أساتذتنا دون استثناء.

كما نتقدم بوافر الشكر إلى جميع موظفي المكتبة الذين قدموا لنا كل ما نحتاجه من مساعدة في إعداد بحثنا .

شكرا جزيلا إلى كل هؤلاء.

إهـــــــــــداء

الهي لا يطيب الليل إلا بشكرك...و لا يطيب النهار إلا بطاعتك...و لا تطيب اللحظات إلا بذكرك...و لا تطيب الآخرة إلا بعفوك و لا تطيب الجنة إلا برؤيتك،فاغفر لنا و ارحمنا و أهدنا و أنت خير الرازقين إلى من قال فيهما الرحمن."و قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحسانا"،والدي الكريمين .

إلى ملاذي في الحياة.ومن الحب و ينبوع الحنان و مثال التفاني و بسمة الحياة و اشراقتها،سر الوجود و بلسم الشفاء سندي التي مهما قلت لن أوفيها حقها أمي الغالية رحمها الله و أسكنها فسيح جنانها إلى من كلله الله بهيبة الوقار إلى من علمني العطاء بدون انتظار و احمل اسمه بكل افتخار،أطال الله في عمره و جعله نبراس حب و تاجا فوق رؤوس أولاده و بناته أبي العزيز.إلى من ساندتني ووقفت الى جانبي و شجعتني لأبلغ مرامي زوجتي العزيزة ،و إلى أستاذنا المشرف الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته القيّمة ،و إلى كل من وسعتهم ذاكرتي و لم تسعهم مذكرتي اهدي ثمرة جهدي تعب سنيني هذا العمل المتواضع.

بلخروبي ميلود.

إهـــــــــــــــــــــــــداء

أهدي هذا العمل إلى الوالدين الكريمين إلى أمي الحبيبة وأبي الغالي فمهما فعلنا وقلنا وشكرنا فلا نوفي حقهما وإلى أسرتي، عمتي و قرّة عيني عائـــــــــشة و أخوي رشيد وعبد الناصر وأختي وبناتها جمانة وئام، سبة رحاب و أميمة حنين.

وإلى كل من عرفناهم من أساتذة أخص بالذكر الدكتور حاكمي الحبيب وإلى كلّ أصدقائي الذين لم يبخلوا علينا بالنصائح والمساعدة وإلى عمال المكتبة الذين ساعدونا طوال مشوارنا الدراسي.

دحام عمر.

قائمة المختصرات:

المختصر	دلالـــــــتـــــــــه
د . س	دون سنة.
تح	تحقيق.
تر	ترجمة.
ص	الصفحة.
مرا	مراجعة.
د،م	دون مكان نشر.
مج	مجلد.
ج	جزء.
ه	هجري.
م	ميلادي.
تع	تعليق
د.د.ن	دون دار النشر
تق	تقديم
ط	طبعة
د.ط	دون طبعة
تص	تصحيح
شر	شرح
p	page

مقدمـــة

مقدمـــة :

عرفت البلاد الأندلسية فترات مضطربة مع بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي؛ وهو ما اصطلح عليه أهل الأندلس باسم عصر الفتنة القرطبية، و لم يمض النصف الاول من هذا القرن حتى غدت الحواضر الاندلسية مقسمة بين أمراء وملوك تنازعوا فيما بينهم وتناحروا؛ بل تجرأ بعضهم على التحالف مع الممالك النصرانية في مواجهة بني جلدتهم محاولة منهم للسيطرة على قدر أكبر من تركة الدولة الأموية فساءت حالة البلاد، وازدادت سوءاً نظراً للإعتداءات المتكررة التي كان يشنّها النّصارى على الأراضي الأندلسية .

إن حالة التشرذم السياسي في الجبهة الإسلامية بالأندلس أيّام ملوك الطوائف، كان يقابلها حالة من التوافق والإتّحاد بين القوى النّصرانية في الشمال والتي إنتقلت من طور الدّفاع إلى طور الهجوم فانطلقت الجيوش النّصرانية نحو الجنوب، تبتغي الإستحواذ على المدن الإسلامية والسيطرة عليها، ممّا جعل ملوك الطوائف يستغيثون بالدولة المرابطية ببلاد المغرب، التّي وإن نجحت في كبح الجموح الصليبي في الإستلاء على أراضي المسلمين مؤقتاً، غير أنّها فشلت في درء الخطر النّصراني على المدن الإسلامية بصورة نهائية، كما لم تفلح خليفتها الدولة الموحّدية في الحفاظ على ما تبقى من مدن في حوزة المسلمين، حيث لم يكد القرن السابع أن ينقضي حتّى كانت معظم المدن الأندلسية قد سقطت بيد الممالك النصرانية.

لقد كان من الطبيعي وفي ظلّ وجود أقليات مسلمة معتبرة بالمدن الإسلامية الواقعة تحت هيمنة الممالك النّصرانية، أن تتّبع هذه الأخيرة سياسة تتماشى وأهدافها في إخضاع هذه المدن لسلطتها، الأمر الذي جعل هذه المدن تعيش أوضاع خاصّة ومميّزة، إتّخذت أشكالاً وأبعاداً سياسية وإجتماعية وهو مانحن بصدد دراسته والبحث في ثناياه.

يعدّ موضوع الأوضاع السياسية والإجتماعية للمدن الإسلامية في ظلّ الهيمنة النّصرانيّة من الموضوعات التاريخية المهمّة التي لم تحظى بعناية الباحثين والسبب في ذلك يعود إلى قلّة المعلومات التاريخيّة عن الأحوال العامة للمدن الأندلسية وقاطنيها من الأقليات المسلمة خلال

هذه المرحلة والتي يمكن أن نّعزوها إلى حياة العزلة التي كان يعيشها المدجّنون في تلك المجتمعات لذلك لم يسلط عليهم الضوء من قبل المؤرخين الإسبان والعرب الذين اقتفوا أثر الفقهاء المسلمين بالنظر للمدجّنين على أنّهم متخاذلين لأن الشرع الإسلامي لايجيز لهم البقاء في دار الكفر، وبذلك كانوا خارج اهتمامات هؤلاء المؤرخين.

فضلاً عن ذلك فإنّ المؤرخين المسلمين اقتصرت كتاباتهم على حيثيات سقوط هذه المدن دون التعرض إلى أحوالها وأوضاعها بعد وقوعها بالقبضة النّصرانية، إلاَّ عبر اشارات مقتضبة ومتفرّقة بين ثنايا مصنفاتهم وجاءت معلوماتهم بكيفية عرضية.

إنّ عزوف الباحثين عن البحث في هذه الموضوعات وقلّة اهتمامهم بها على الرغم من أهميتها، دفعنا إلى البحث و الإستقصاء في هذا المجال ، و قد وقع اختيارنا على عرض مقاربة تاريخية حاولنا من خلالها سد بعض الثغرات في الدراسات السياسية والإجتماعية للمدن الأندلسية في ظلّ الحكم النّصراني لها.

تفرض طبيعة الموضوعات المركبة ذات الصلة بالمقاربات التاريخية و الإجتماعية إلى تحرير اشكالية تتماهى مع روابط الصور النمطية داخل المجتمعات الوسطية التي امتزجت فيها الإثنيات و المذاهب العقدية مثلما هو الحال بالنسبة للمجتمع الأندلسي لاسيما في ظل تراجع المد الإسلامي و توسع الهيمنة النصرانية .

فما هي أبرز معالم التمظهر السياسي للممالك النصرانية عقب استيلائها على المدن الأندلسية ؟ و مامدى التغيرات التي طرأت عليها مع تغير حدودها الزمانية و المكانية ؟ و يتفرع عنه التساؤل عن أحوال من بقي من المسلمين الذين آثروا البقاء في أراضيهم و دورهم ؟ و كيف تعاملوا مع مختلف الإجرءات القانونية و اللوائح التنظيمية المتخذة في حقهم ؟ و ما تأثيرها على حياتهم الإجتماعية و الإقتصادية ؟ .

و للإجابة عن هذه التساؤلات اتبعنا خطة بحث مكونة من مقدمة و فصل تمهيدي ففصلين و خاتمة.

تناولنا في الفصل التمهيدي الواقع السياسي للأندلس في القرن 4 و 5 ه من خلال ابراز مكانة قرطبة الخارجية على عهد الخلافة الأموية كما تطرقنا إلى أثر سقوط الخلافة الأموية على العلاقات الخارجية للأندلس ، و ما تلا ذلك من صراع بين ملوك الطوائف و مايقابله في الطرف الأخر من توحد بين الممالك النصرانية ، لنختتم الفصل بإستغاثة ملوك الطوائف بالمرابطين .

ثم تناولنا بالدراسة و البحث في الفصل الأول الأحوال السياسية للمدن الأندلسية في ظل حكم مملكتي قشتالة و أراغون ، بإعتبار أن معظم المدن الإسلامية كانت قد سقطت بيد احدى هاتين المملكتين الأمر الذي يحتم علينا طرحهما كواجهة و نموذج للدراسة و ابتدأنا بالإشارة الى ظهور الممالك النصرانية في الشمال و سقوط المدن الإسلامية على اثر ذلك في قبضتها لنسترسل في ذكر الأحوال السياسية لهذه المدن بدءا بتلك الواقعة تحت السيطرة الأرغونية ، ثم المدن المحكومة من قبل المملكة القشتالية ، لننهي الفصل بالإشارة الى ردود أفعال الأقليات المسلمة ازاء السياسات المفروضة عليهم من طرف النصارى .

أما الفصل الثاني فخصصناه لدراسة الأحوال الإجتماعية للمسلمين بالأندلس في ظل السيطرة النصرانية ، حيث تطرقنا فيه إلى حياة المسلمين ممن اشتهروا بداية من هذه المرحلة التاريخية بألقاب وأوصاف مختلفة كمسلمي الأندلس والعرب والمغاربة والمدجنين... ، لننتقل بعدها الى تصوير الحياة الدينية لمسلمي الأندلس من المدجنين ثم أشرنا في عنصر مستقل الى الجانب الحرفي و الصنائعي عند المدجنين لما له من أثر في اظهار التأثير الإسلامي على العمارة النصرانية ،لنخصص في الأخير جانب لذروة اضطهاد مسلمي الأندلس ليكون أرضية ينطلق منها أي باحث في هذا الخصوص مستقبلا .

ولمعالجة هذا البحث اتبعنا المنهج التاريخي الاسترادادي لأجل معرفة التغيرات التي طرأت على شبكة العلاقات الاجتماعية للمسلمين في ظل الهيمنة النصرانية.

وتخلّلت عملية سرد الأحداث منهج التّحليل والنقد ويتمثّل هذا المنهج في الوقوف على المصادر التّاريخيّة المتّصلة بالموضوع واقتباس المادة العلمية منها ثمَ مقارنتها وتحليلها باستخدامنا عدّة مصادر ومراجع منها المتخصّصة والعامّة.

من الثابت أن فترة هيمنة الممالك النصرانية على المدن الأندلسية في ظل وجود أقليات مسلمة بها لم يلق نصيبه من من الدراسة و البحث، نظرا للغموض الذي يكتنف الكثير من حلقاته فضلا عن شح المادة العلمية و قلتها ، هذه المعطيات جعلت الباحثين و المؤرخين ينفرون من دراستها لكن ذلك لا ينفي وجود بعض المحاولات الجادة التي قام بها زمرة من الباحثين في هذا المجال على غرار يوسف حسين الدويدار في كتابه عن المسلمين المدجنون في الأندلس الذي ركز فيه على الحياة الإجتماعية لمسلمي الأندلس و أهمل الجانب السياسي على الرغم من أهميته ، و حاول المؤرخون الإسبان الإلمام بهذه المواضيع و تسليط الضوء عليها و في مقدمة هؤلاء نجد غارسية أرينال في كتابها شتات أهل الأندلس و على الرغم من الفائدة العظيمة لهذا الكتاب إلا أنه افتقد للدقة و الموضوعية في الكثير من ثناياه حيث جاء شاملا دون تصنيف للأحوال كل على حدى ليتسنى للقارئ استيعابها و فهمها .

أما بقية الدراسات فقد جاءت مجزأة تخص مدينة بعينها في خضم حكم النصارى لها كدراسة محمد عبد الله المعموري للأحوال العامة للمدجنين في بلنسية التي و مع كونها لا تخلو من فائدة إلا أنه ركز على الجوانب الإجتماعية و الإقتصادية بصفة جلية متناسيا الجانب السياسي الذي ذكره بإقتضاب .

وقد استخدمنا في انجاز بحثنا هذا مجموعة متنوّعة من المصادر التاريخيّة العربية التي اختلفت درجة استعمالها بشكل متفاوت، كما استأنسنا بالعديد من المراجع المهمّة التي لها صلة بالموضوع، وسنقتصر هنا على ذكر البعض منها:

1- المصادر :

أ- المصادر التاريخية :

- **كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام، وما يجر ذلك من شجون الكلام للسان الدين ابن الخطيب المتوفى سنة 776ه/1374م :** و لهذا المؤرخ و الوزير و الشاعر عشرات الكتب في شتى أنواع المعارف و الفنون و مايهمنا منها أكثر هو كتاب أعمال الأعلام ، يعتبر من المصادر التاريخية المهمة في التأريخ للدول الإسلامية في الأندلس، ولمن جاورهم من الممالك النصرانية ، و الذي نشره المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال سنة 1934 ، و أعادت مكتبة الثقافة الدينية نشره مصورا عن طبعته الأولى، و يتضمن الكتاب الكثير من التفاصيل الدقيقة المتعلقة بالأوضاع الداخلية و الخارجية لممالك الطوائف خلال القرن الخامس الهجري /الحادي عشر ميلادي ، و السياسة التي تنتهجها هذه الممالك نحو الممالك النصرانية ،كما ينفرد كتاب أعمال الأعلام ، بين المصادر العربية بإحتوائه على مختصر لتاريخ الممالك النصرانية مثل قشتالة و أرغون و البرتغال، أفادنا هذا الكتاب في معرفة أحوال ملوك الطوائف بالأندلس من خلال الصراع القائم بينهم.
- **كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب لإبن عذارى المراكشي كان حيّا سنة 712ه/ 1312م** : ويعتبر هذا الكتاب من المصادر الأساسية في البحث خاصة الجزء الثالث منه والمتعلق بتاريخ ملوك الطوائف، سمح لنا بوضع تصوّر على علاقات بعض الممالك الطائفية بالممالك النّصرانية، أمّا الجزء الرابع الذي أعاد نشره إحسان عبّاس وقد أفادنا هذا الكتاب في معرفة الحقبة الزمنية حول التواجد المرابطي بالأندلس ويتميّز ابن عذارى بالدّقّة في كتاباته والتجرّد والموضوعية إلى حدّ كبير، وممّا زاد من قيمة هذا الكتاب استخدامه عدّة مصادر تاريخيّة معاصرة لفترة موضوع بحثنا.

- **كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي كان بقيد الحياة في النصف الأول من القرن السابع الهجري** : ويتناول الكتاب في معظمه تاريخ دولة الموحّدين التي نشأ المؤلّف في كنفها، وقدّم له بمقدّمة موجزة في تاريخ المغرب والأندلس منذ الفتح العربي فصار كتابه تاريخاً عامّاً للأندلس، وقام بتأليف كتابه هذا بالمشرق بعيداً عن كتبه ودفاتره التي تركها خلفه بالأندلس، أفادنا هو الآخر حول التواجد الموحّدي بالأندلس وهزيمتهم في موقعة العقاب الشهيرة أمام الممالك النّصرانية والتي مثّلت أكبر هزيمة للمسلمين بالبلاد الأندلسية.
- **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لمؤلف مجهول:** ونسب مؤخراً إلى أبي عبد الله محمد بن أبي علاء ابن السمّاك العاملي، والكتاب به معلومات عن الصّراع بين المسلمين والنّصارى في الفترة التي سبقت التدخّل المرابطي في الأندلس و الفترة التي أعقبت تدخلهم أيضاً، أفادنا حول سقوط طليطلة في أيدي النّصارى وجواز المرابطين بالأندلس وجهادهم بها.
- **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لإبن بسام الشنتريني المتوفى سنة 542ه/1147م:** و هذا الكتاب هو موسوعة أدبية تاريخية تضمنت التراث الأدبي للقرن 5ه/11م في الأندلس لأن الهدف من تأليفه هو التعريف بأهل الأدب الأندلسي ،ولما كان ابن بسام أديبا و ليس مؤرخا فقد اعتمد في الجزء التاريخي من كتابه على كتاب المتن لإبن حيان و على بعض الشهادات لمن عايش أحداث القرن 5 ه ، لذلك جاءت معلوماته غاية في الدقة و الكتاب أفادنا حول إستغاثة ملوك الطوائف باخوانهم المرابطين في البلاد المغرب لقطع الطريق أمام عزم الممالك النّصرانية في الإستيلاء على الجزيرة كلّها.
- **كتاب تاريخ الأندلس لإبن كردبوس ووصفه لإبن الشباط لصاحبيه أبو مروان بن الكردبوس التوزي و محمد بن علي بن محمد بن الشباط** : يتضمن الكتاب تحقيق

نصين جديدين ، الأول يسلط الضوء على تاريخ الأندلس و هو في الأصل جزء من كتاب الإكتفاء في أخبار الخلفاء للمؤرخ ابن كردبوس، أما النص الثاني فصاحبه محمد بن علي بن محمد بن الشباط فيتناول وصف لبلاد الأندلس و جغرافيتها، و هو جزء من كتاب صلة السمط و سمة المرط للمؤلف نفسه ، و يتميز ابن الشباط بسرد المصادر التي استقى منها مادته ، فهو على النقيض من ابن الكردبوس الذي لا يشير الى مصادر كتابه، أفادنا في مواطن عدّة أهمها: معرفة الصراع الحاصل بين ملوك الطوائف فيما بينهم والإستعانة بالممالك النّصرانية ضد بعضهم البعض.

- **المصادر الجغرافية :**

- **كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار لإبن المنعم الحميري المتوفى سنة 727هـ/1327م:** لا توجد معلومات كافية عن مؤلف هذا الكتاب ، و قد حققه الأستاذ إحسان عباس ، و الكتاب يضم معظم الأعلام الجغرافية الهامة التي يتردد ذكرها في كتب التاريخ الأندلسي، في تخريج أسماء بعض الأماكن الجغرافية في الأندلس.

- **كتاب معجم البلدان لشهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرّومي البغدادي المتوفى سنة 770ه:** و هذا الكتاب واحد من المصادر الجغرافية المهمة لما يحتويه من معلومات وافية عن المدن الأندلسية حيث لايعدّ معجماً جغرافيّاً فقط، وإنّما هو كتاب تاريخ وأدب، ومرجعٌ من أهم المراجع التي يمكن إستخدامها ، إستفدنا منه في شرح بعض الأماكن و التعرف على أهم المدن الأندلسية.

- **المعاجم والقواميس:**

- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي من تأليف أحمد بن محمّد بن علي المُقري الفيّومي المتوفي سنة 770ه :** هذا الكتاب خلاصة مثمرة لموسوعات علمية

لاتقلّ عن سبعين كتاباً ذكر أكثرها الفيّومي والقصد من تأليف هذا الكتاب شرح مفردات الشرح الكبير للرافعي، أفادنا في شرح بعض المصطلحات التي ذكرت في الموضوع.

- **الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربية من تأليف إسماعيل بن حمّاد الجوهري المتوفى عام 393هـ/1003م** ، يعرف بإمام العربية الجوهري مؤلف الصّحاح من أعظم روّاد المعجمات العربية، ومبتكر المنهج الذي اتّبعه في تأسيس صحاحه دون أن يتّبع سبيلاً سبقه إليه أحد و أيضاً **كتاب الزمخشري أساس البلاغة** استفدنا من هذين الكتابين في شرح بعض المصطلحات التي احتواها موضوع بحثنا.

و لم تقتصر الدراسة على المصادر فقط بل على مجموعة من المراجع و الدراسات الحديثة أهمها:

2- المـــراجع :

- **كتاب شتات أهل الأندلس للباحثة الإسبانية مرسيدس غارسية أرينال و ترجمة محمد فكري عبد السميع** : يتألف الكتاب من تمهيد و خمسة فصول بالإضافة إلى لائحة بيبلوغرافية ،استندت فيه الباحثة على خبرة طويلة في تاريخ الأندلس و الغرب الإسلامي و بالإعتماد على منهج واضح هو المنهج الإستقرائي المقارن و على أبحاث حديثة من قبيل الأبحاث الأركيولوجية و الطبونيمية ، و مصادر دقيقة كسجلات المحاكم و الضرائب، حيث فتحت الكاتبة موضوع وصفية الأقليات في الأندلس وضعته تحت مجهر التحليل و المناقشة ونظرا لهذه الأهمية التي يكتسيها الكتاب كان استخدامنا له بشدة خصوصا في استخلاص الشرائع و القوانين المطبقة بالمدن الأندلسية في بعدها السياسي والإجتماعي.

- **كتاب دولة الإسلام في الأندلس لصاحبه محمّد عبد الله عنّان:** ويتناول هذا الكتاب التواجد الإسلامي بالأندلس بالإضافة إلى طبيعة الصراع القائم بين المسلمين والممالك

النّصرانية، كون أن صاحب الكتاب قام باثني عشر رحلة إلى شبه الجزيرة الأيبيرية وزار سائر المدن الأندلسية القديمة، وقام بدراسة سائر مابها من الآثار والنقوش الأندلسية، كما زار سائر المدن النّصرانية التي لها علاقة بتاريخ الأندلس، في قشتالة ونافار وليون وجليقية، أفادنا هذا الكتاب في التعرف على أهم الممالك النّصرانية ومعاملة النّصارى للمسلمين الذين آثروا البقاء في دار الكفر على الهجرة.

- **كتاب المسلمون المدجّنون في الأندلس لحسين يوسف** : تحدّث المؤلف في بداية الكتاب بشكل عام عن حروب إستيلاء النّصارى على أراضي المسلمين وتحدّث فيه بشكل يسير عن السياسة المنتهجة من قبل الممالك النّصرانية اتجاه الأقليات المسلمة الأندلسية، استفدنا منه في التّعرف على أسباب إبقاء المسلمين المدجّنين في ظلّ الهيمنة النّصرانية وأهم الأحوال الإجتماعية لهم.

- **الأندلسيون المواركة لمؤلفه عادل سعيد بشتاوي** : تناول فيه سقوط المدن الأندلسية في أيدي النّصارى ويتحدّث فيه عن ظهور محاكم التفتيش وممارساتها ضد المسلمين، أفادنا هذا الكتاب في التعرف على آثار المسلمين في شبه الجزيرة الأيبيريّة ونقصد هنا بالذكر العمارة الدجنية.

واجهت الدراسة العديد من الصعوبات لعل أكثرها أهمية هو قلة النصوص التاريخية المتاحة أمام الباحث لاسيما تلك المتعلقة بالأحوال الساسية و الإجتماعية للمدن الأندلسية في ظل الحكم النصراني لها و لتذليل هذه المعضلة اضطررنا في بعض الأحيان إلى استخدام بعض النصوص التاريخية المتأخرة نسبيا عن مدة الدراسة إذا علمنا أن هذه النصوص قد كشفت اللثام عن بعض الممارسات الدينية و العادات و التقاليد الّإجتماعية الخاصة بالأقليات المسلمة في المدن الأندلسية في ظل السيادة النصرانية ، ناهيك عن القوانين و الشرائع ذات البعد السياسي و المطبقة بتلك المدن .

و بالإضافة لقلة النصوص التاريخية و ندرتها تناثرها في صفحات و ثنايا المصادر التاريخية مما تطلب جهدا مضنيا في محاولة جمعها و تصنيفها و تنظميها و ترتيبها بالشكل الذي يتوافق و متطلبات البحث في الموضوع .

و في الختام نرجو أن تغطي هذه الدراسة النقص الواضح في المعلومات المتعلقة بالأحوال الساسية و الإجتماعية للمدن الأندلسية في مرحلة السيطرة النصرانية عليها فإن أصبنا فهو القصد و المبتغى و إن أخطأنا فحسبنا أن لنا أجر المجتهد .

الفصل التمهيدي: مقاربة عامة عن الأوضاع السياسية في الأندلس خلال ق 4 و مطلع ق 5 ه.

1- مكانة قرطبة الخارجية .

2- أثر سقوط الدولة الأموية على العلاقات الخارجية للأندلس .

3- الصراع بين ملوك الطوائف و توحد الممالك النصرانية .

4- استغاثة ملوك الطوائف بالمرابطين .

1- مكانة قرطبة الخارجيّة في ظلّ الخلافة الأموية :

عرفت بلاد الأندلس مطلع القرن الرابع للهجرة وقائع وأحداث سياسية وثورات عارمة تمكنت من اجتياح الأندلس "إلاّ أنّ الخليفة عبد الرحمن النّاصر لدين الله[1] كان له الدور الأساسي في توحيد الأندلس والقضاء على تفرقها وتمزقها[2] حيث أمضى سنوات حكمه في الغزو والمقاومة"[3].

استطاع عبد الرحمن النّاصر لدين الله أن يقوم بتوحيد الأراضي الإسلامية بشبه الجزيرة الأيبيرية، ويواجه الخطر النصراني في الشمال، ووفّق في ذلك تمام التوفيق ليصبح من كبار ملوك شبه الجزيرة، وحّد دولته وتمكّن إلى جانب ذلك من المساهمة في الرفع من هيمنة قرطبة الخارجية، فقد شهد عهده رغبة واضحةً لدى النّصارى في الإستيلاء على الثّغور الأندلسية الشمالية ليقوم بإعمال السيف فيهم حتى أجبرهم على أن يصبحوا من أحلافه[4]،" وقام ببثّ الرعب والهلع في نفوس السكّان النّصارى لتسجّل له الوقائع بينه وبين جيوش ليون ونبرة انتصارات حاسمة إكتسح بعدها هاذين المملكتين حتى أذعن خصومه له بالطاعة

---

[1] عبد الرحمن النّاصر لدين الله: هو عبد الرحمن بن محمّد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ولد سنة 277ه/890م، وكان عمره لّما قتل أبوه عشرين أو واحدا وعشرين يوما، فاحتضنه جدّه عبد الله وخصّه بمحبّته ورعايته، وكرّس الكثير من وقته لتنشئته، أمّه تسمى مزنة، وكنيته أبو المطرف، ولقبه النّاصر لدين الله، ويدعى أيضا عبد الرحمن الثّالث، لأنه ثالث ثلاثة تولوا إمارة الأندلس ممّن تسموا بهذا الإسم فقد سبقه منهم: عبد الرحمن الأوّل (الدّاخل)، وعبد الرّحمن الثّاني (الأوسط)، ولي إمارة الأندلس سنة 300ه/912م، وهو من أعلن الخلافة الأموية بالأندلس بعدما كانت إمارة، توفي سنة 350ه/ 961م وكان عمره ثلاثا وسبعين سنة. ينظر: محمّد عبده حتامله، الأندلس التاريخ الحضارة والمحنة، دط، المكتبة الوطنية، الأردن،2000م، ص 316.

[2] سامية مصطفى مسعد، التكوين العنصري للشعب الأندلسي وأثره على سقوط الأندلس، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، 1424ه/2004م، ص 126.

[3] محمد حسن العيدروس، العصر الأندلسي نهاية دول الطوائف، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2011م، ص 135.

[4] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مرا، عادل أبو المعاطي، محمّد دياب، دار الرّشاد، القاهرة، 1997م، ص ص 371-381.

وهادنوه، وبعثوا إليه السفارات والهدايا طالبين الصّلح"[1]، وشهد عهده منافسة قرطبة في عظمتها عظمة القيروان[2] وبغداد والقاهرة[3] وبخارى ودمشق[4]

أمّا في عهد الحكم المستنصر عرفت حاضرة الخلافة في الأندلس قرطبة ارتفاعاً ملحوظاً في جميع النواحي وتوالت إليه السفارات لعلّ من أبرزها سفارة ملكا برشلونة وطركونة يطلبان منه اعادة تجديد الصلح بين المسلمين والنّصارى وإقرارهما على ما كانا عليه[5].

عقب وفاته تولّى إبنه هشام المؤيد الحكم سنة 366ه، بدأت أحوال القواعد الأندلسية في عهده تتدهور بسبب صغر سنّه وعدم توفّره على الحنكة السياسية وإهماله للجهاد، ممّا شجّع الممالك النصرانيّة في الشمال على شنّ حروب على قواعد المسلمين ومهاجمتها، "ونتيجة لذلك فقد ساءت أحوال الثّغور ممّا أدّى إلى قدوم وفود من أهلها إلى الحاضرة قرطبة يشكون ماحلّ بهم على أيدي النّصارى"[6].

---

[1] السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج1، دط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م، ص 69.

[2] القيروان: مدينة عظيمة جمعت بين طيب الهواء وعذوبة الماء وجميع المحاسن، كانت عظيمة البناء تضاهي بغداد وهي من قواعد الإسلام الأربعة بغداد والقاهرة وقرطبة، وكان فيها من الأدباء والعلماء والشعراء والفقهاء ما كان في البصرة، ذكر أنّه كان فيها أربعة آلاف كرسي للعلم وأربعمائة شاعر، لايمدحون ملوكا ولا وزراء وإنّما يمدحون التّجار وأولاد التجّار، وإنّ عقبة بن نافع هو أوّل من بناها وبنى مسجدها الأعظم والمسمّى بجامع قرطبة. ينظر: الزّهري، كتاب الجغرافية، تح، محمّد حاج صادق، دط، مكتبة الثّقافة العربية، بور سعيد، دس، ص 109.

[3] القاهرة: مدينة مبنية في وطاة نائية عن دورة الجبل. ينظر: ابن فضل، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح، كامل سلمان الجبوري، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، ص 334.

[4] محمد محمود صبح، قرطبة في التاريخ الإسلامي، دط، الهيئة العامة المصرية للكتاب، دم، 1986م، ص 19.

[5] السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، المرجع السابق، ص ص 61-73.

[6] كمال السّيد، دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة، دط، مكتبة الإسكندرية، 1997م، دم،ص ص 126،127. 126،127.

يعتبر الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي[1] المدبّر الفعلي للسلطة و لم يكن لهشام المؤيّد[2] من الأمر شيء بحكم صغر سنّه، لتبرز مع هذا الخليفة شخصيّة المنصور إبن أبي عامر[3] الذي تولّى الحجابة، ويعتبر من الشخصيات السياسية والعسكرية التي عرفتها الأندلس خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، الموافق للقرن الحادي عشر الميلادي، لتساهم حنكته السياسية بلوغه أعلى مناصب الدّولة[4].

تمكّن الحاجب المنصور بن أبي عامر من كسب ثقة صبح والدة الخليفة هشام المؤيّد، وأزاح المصحفي من منصب الحجابة التي تولاّها في عهده[5] ليصبح بذلك مكانه ابن أبي عامر عامر حاجباً[6] وقام بعد ذلك بالحجر على الخليفة داخل القصر[7] "حتى أصبح لايراه أحد إلا إلا برأيه وإذنه، مظهراً من الحكمة والدّراية بأمور الدّولة والحرب، مابقي ذكره خالداّ على مرِّ العصور، وتابع الفتوحات في أراضي الممالك النصرانية حتى بلغ أقصى الشمال، وأخضع

[1] ابن السماك، الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المؤثورة، مج21، دورية المعهد المصري،مصر،1989-1990،ص13.

[2] هشام المؤيّد: هو أمير المؤمنين هشام المؤيد بن الحكم المستنصر بن عبد الرحمن النّاصر بن محمّد الإمام بن عبد الله بن محمّد بن عبد الرحمن الأوسط بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، وهو العاشر من خلفائهم، كنيته أبو الوليد، أمه تسمى صبح ولد سنة 354ه وبويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه. ينظر: مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تح و تر، لويس مونيلا، ج1، دط، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1983م، ص ص 183،184.

[3] المنصور بن أبي عامر: هو محمّد بن عبد الله بن أبي عامر محمّد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك الداخل إلى الأندلس أول الفتح، وهو معافري النّسب، وكان والده عبد الله طلب العلم وروى الحديث وحجّ بيت الله الحرام ومات، أمّه برهة بنت يحيى بن برطال، دخل جدّه عبد الملك المعافري الأندلس مع طارق بن زياد في أوّل الفتح وكانت له في الفتح آثار عجيبة، ولي المنصور بن أبي عامر الحجابة لهشام المؤيد في شعبان من سنة 372ه. ينظر: مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 175. و الضّبي، المصدر السابق، ص 152.

[4] عمر بخاري، الإمارات البربرية الصغرى في جنوب الأندلس وعلاقتهم بملوك الطوائف القرن الخامس الهجري الحادي الحادي عشر الميلادي، دط، كنوز للإنتاج والنشر والتوزيع، تلمسان، الجزائر، دس، ص 32.

[5] أسعد حومد، محنة العرب في الأندلس، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1988م، ص 81.

[6] مونتغمري وات، في تاريخ إسبانيا الإسلامي، تر، محمد رضا المصري، ط2، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، 1998م،ص 103.

[7] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي، ج1، دط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دس، ص 351.

جميعها، وفرض الجزية عليها، فكان عهده إستمرارا لعهد النّاصر لدين الله، ولكن إذا كان المنصور قد حقّق للأندلس مالم يحقّقه الأمراء السّابقون، فإنه قد فتح الطريق واسعا أمام الطامعين بالحكم"[1].

بعد كلّ الجهود المبذولة من قبل عبد الرحمن النّاصر لدين الله والحكم المستنصر ثم المنصور بن أبي عامر وعبد الملك المظفّر في سبيل إقرار هيبة الدولة الإسلامية في الأندلس، مرّت بعدهم الجزيرة بأحداث ووقائع تمكّنت من تقسيم الأندلس إلى دويلات، وإمارات دخلت في تنافس وصراع دائم فيما بينها من أجل توسيع رقعتها الجغرافيّة على حساب الأخرى، فقامت الممالك النّصرانية باستغلال الوضع الغير مستقر لهذه الإمارات لتقوم بالزّحف نحو الجنوب وهنا كانت الكارثة أين تمكّنوا من إسقاط مدينة طليطلة وهذا ماسوف نتطرقّ إليه لاحقاً [2].

[1] أسعد حومد، المرجع السابق، ص ص 81،82.

[2] المرجع نفسه، ص 82.

2- أثر سقوط الدولة الأموية على العلاقات الخارجية للأندلس:

تولّى عبد الملك المظفّر الخلافة بعد وفاة ابن أبي عامر[1]، ففي عهده توالت السفارات من أمير برشلونة الكونت رامون بوريل الثالث طالباً إقرار الصلح والهدنة سنة 393ه/1103م، فخصّها عبد الملك المظفّر باستقبال حافلٍ تحدّثت به الكتب، وكان من أبرز ما يجعل من عبد الملك المظفّر رمزاً في القوّة والمنعة هو احتكام النّصارى إليه كأمير قشتالة الكونت سانشو غرسية ومنديث كونثالث زعيم جليقية والوصي على ملك ليون[2]، تلقّب بسيف الدّولة، بوفاته خلفه أخوه عبد الرحمن بن المنصور[3]، إلا أنه نشبت حركة مقاومة لحكم بني عامر كان على رأسها محمد بن هشام بن عبد الجبار إبن عبد الرحمن النّاصر لدين الله[4].

أصبحت قرطبة[5] بعد سقوط العامريين المسرح الرئيسي للصراع من أجل الخلافة[6]، وأصبحت لثورتها الأثر الكبير في تغيير الخارطة السياسية للأندلس[1].

---

[1] عبد الملك المظفّر: هو أبو مروان المظفر بالله إبن المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر المعافري، ولي الحجابة للخليفة الأموي هشام المؤيّد بعد وفاة أبيه، وذلك يوم الإثنين 27 رمضان سنة 392ه/ 1002م، وتلقّب بالإضافة إلى لمظفر بسيف الدّولة، ولّما تولت له الولاية نفذت كتبه إلى أقطار المملكة بالأندلس والعدوة يعلم بوفاة أبيه وتوليته تدبير المملكة مكانه، فاستوسق له الأمر، وإجتمع النّاس على حبّه، وأقره الخليفة هشام على ماكان أبوه عليه معه، توفي في سنة 399ه. ينظر: محمّد عبده حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، المرجع السابق، ص ص 414-418.

[2] عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مج 4، دط، مكتبة الإسكندرية، د م، دس، ص 308.

[3] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص ص 405،406.

[4] أسعد حومد، المرجع السابق، ص 89.

[5] قرطبة: تقع مدينة قرطبة على سهل مرتفع في سفح جبل قرطبة، المعروف عند مؤرخي العرب بجبل العروس، ويؤلف هذا الجبل احدى سلاسل جبال سيرا مورينا، وكان يمتد شمال قرطبة، ويغرس بالكروم والزيتون وسائر الأشجار وأنواع الأزهار، ويتراوح إرتفاع قرطبة مابين 100متر و 123 مترا فوق مستوى سطح البحر، أما من جهة الجنوب فقرطبة موفية على الضفة اليمنى من النهر الوادي الكبير الذي ينحني مجراه إنحناءة طفيفة نحو الغرب مؤلفا اهم طريق طبيعي، وتعتبر قرطبة من أكثر المناطق الزراعية في الأندلس خاصة في سهل الكنبانية. ينظر: السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، المرجع السابق، ج1، ص ص 15،16.

[6] مونتغمري وات، المرجع السابق، ص 103.

"أو كما يسميها ابن الأبّار بالفتنة العظمى للأندلس وكان محمد بن هشام بن عبد الجبار[2] المهدي أوّل من أرّث[3] نارها"[4].

إنكشفت الأحقاد الدفينة في هذه الفتنة وقلبت المقاييس وعمّت الفوضى[5] "العارمة والفتن الضاربة في قرطبة بعد سقوط الدولة العامرية سنة 399ه، ثمّ في باقي الأندلس، فقد أدى زوال الخلافة الأموية في الأندلس إلى زعزعة الأمن وإنتشار الفوضى فهبّ زعماء التركيبة السكانية من عرب وبربر[6] إلى تقاسم أشلاء هذه الخلافة الممزقة، فأخذ بنو عبّاد[7]

---

[1] يوسف شحدة الكحلوت، الأخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف، دط، د.د ن، دم، 2010م، ص30.

[2] محمد بن هشام بن عبد الجبّار: محمّد بن هشام بن عبد الجبّار بن عبد الرحمن النّاصر الذي تولّى الخلافة بعد مقتل شنجول سنة 399ه/ 1009م، وتسمى بالمهدي ولكنه مالبث أن قتل هو الآخر في العام التّالي سنة 400ه. ينظر: إبن الكردبوس، تاريخ الأندلس، تح، أحمد المختار العبّادي، دط، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971م، ص 67.

[3] **أرّث**: الهمزة والراء والثاء تدلّ على قدح نار أو شبّ عداوة، قال الخليل: أرّثت النّار أي قدحتها، قال الشّيبانيّ: الإراث ماثقبت به النّار. قال والتأرثّ الإلتهاب. ينظر: ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، تح ، عبد السلام محمّد هارون، ج1، دط، دار الفكر للطّباعة والنشر والتوزيع، 1979م، ص 93.

[4] إبن الأبّار، الحلة السيراء، ج2، تح، تع، حسين مؤنس، ط2،دار المعارف، القاهرة، 1985م، ص 30.

[5] عمر إبراهيم توفيق، صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجرة سياسيا وإجتماعيا وإقتصاديا، دط، د.د ن، د م، دس، ص 3.

[6] البربر: هو إسم يشتمل قبائل كثيرة في جبال المغرب أولها برقة ثمّ إلى آخر المغرب والبحر المحيط وفي الجنوب إلى بلاد السودان، وهم أمم وقبائل لا تحصى، ينسب كل موضع إلى القبيلة التي تنزله، ويقال لمجموع بلادهم بلاد البربر، وقد أختلف في أصل نسبهم، فأكثر البربر تزعم على أن أصلهم من العرب، وهوهتان منهم وكذب، وأمّا أبو المنذر فإنّه قال البربر من ولد فاران بن عمليق، وقال الشرقي: هو عمليق بن يلمع بن عامر بن أشليخ بن لاوذ بن سام اين نوح، وقال غيره، عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، عليه السلام، والأكثر والأشهر في نسبهم أنهم بقية قوم جالوت. ينظر: الحموي، معجم البلدان، مج1، دط، دار صادر، بيروت، 1977م، ص 368.

[7] بنو عبّاد: يعتبر بنو عبّاد أشهر ملوك الفتنة، وتعتبر مملكة إشبيلية أشهر الممالك التي أنشأوها، وقد أنشأ هذه المملكة القاضي أبو القاسم محمّد بن إسماعيل بن عبّاد بن عمر بن أسلم، بن عمر بن عطاف بن نعيم اللّخمي، وعطاف هو الدّاخل من بني عبّاد إلى الأندلس في طالعة بلج بن بشر القشيري، وقد نزل على قرية طافشة الواقعة إلى الشرق من إشبيلية، وفي تلك القرية تناسل عقبه. ينظر: محمّد عبد حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، المرجع السابق، ص 488.

إشبيلية، و بنو صمادح ألميرية، و بنو ذي النون طليطلة، بنو هود سرقسطة"[1] وكان هود بن محمّد هو أوّل من حكمها من هؤلاء وذلك في عهد الخليفة الأموي المستعين بالله سليمان بن حكم بن سليمان بن عبد الرحمن النّاصر لدين الله الذي قام بتقسيم الأندلس بعد توليه الحكم لثاني مرّة على رؤساء القبائل، ومنهم منذر بن يحيى الذي أعطاه سرقسطة[2]، وثار بذلك كل قاض في موضعه وكلّ عامل وكل من فيه منّة[3]،كإبن الأفطس في بطليوس[4] وبنو وبنو زيري بغرناطة[5]، وبنو عامر ببلنسيّة، وبقيام هذه الدّويلات التي إقتسمت أملاك الدولة الأموية، تكون الأندلس دخلت عصراً جديداً هو عصر ملوك الطوائف، والذي شهد تردّياً إقتصاديا واجتماعياً وسياسياً تمثّلَ بالخصومات التي كانت تقوم بين ملوكه طمعا في أملاك غيره من المسلمين، ممّا كوّن دويلات ضعيفة بعيدة عن الوحدة والإعتصام[6].

يقول ابن الخطيب في كتاب أعمال الأعلام في وصفه لأحوال ملوك الطوائف بعد الخلاف" ذهب أهل الأندلس إلى الإنشقاق والإفتراق إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار.....، اقتطعوا الأقطار، واقتسموا المدائن الكبار ....، وجنّدوا الجنود، وقدّموا

[1] يوسف شحدة الكحلوت، المرجع السابق، ص ص 30،31.

[2] محمّد عبده حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، المرجع السابق، ص 503.

[3] المنّة: بالضم تعني القوّة، يقال ذهب السفر بمنّته والجمع منن بضم الميم أيضا، والمنّة بكسر الميم، إسم من عليه أي قرعه بصنيعته وإحسان، فيقال المنّة تهدم الصنيعة، والجمع منن بكسر الميم، والمعنى الأوّل هو الذي يستقيم مع المتن. ينظر: ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص 67.

[4] إبن الكردبوس، المصدر نفسه، ص 67.

[5] غرناطة: هي Granada ومعناها الرمانة وهي شعارها التاريخي، تقع في واد عميق، يمتد من المنحدر الشمالي الغربي لجبال سييرانيفادا ويحدها من الغرب نهر شنيل فرع الوادي الكبير، سقطت في يد الملكين الكاثوليكين فرناندو وإيزابيلا في 2 ربيع الأوّل 897ه/ 2 يناير 1492م وهي خاتمة حروب الإسترداد. ينظر: ابن الخطيب، معيار الإختيار في ذكر المعاهد والدّيار، تح، محمّد كمال شبّانة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ص 113.

[6] يوسف شحدة الكحلوت، المرجع السابق، ص 31.

القضاة، وانتحلوا الألقاب، وكتبت عنهم الكتّاب الأعلام، وأنشدهم الشعراء، ودوّنت بأسمائهم الدّواوين، وشهدت بوجوب حقّهم الشهود، ووقفق بأبوابهم العلماء...."[1].

شكّل سقوط الدولة الأموية التأثير البالغ على العلاقات الخارجية للأندلس، بسقوطها عاشت البلاد الإسلامية فوضى سياسية وكاد أن يضيع الأندلس كلّه قبل القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي، بعد أن أراد ملوك النّصارى الإستلاء على أراضي الجبهة الإسلامية، "ومضى كل منهم يقتطع من أراضيهم ما يستطيع حتّى كبار فرسان النّصارى من أمثال البرهانس والسيد القمبيطور تسلّطو على نواح من بلاد الإسلام وسادوا وأذاقوا أهلها الويلات، فالأندلس بعد سقوط الدولة الأموية كان عصرا أليما حزينا تصرّف فيه أولو الأمر في الأندلس تصرفا لايتّفق بحال على ماعرف من عزّة الأندلس أيّام بني أميّة"[2].

ترتّبت على عهد ملوك الطوائف أحداث سياسية أصبحوا من خلالها غير قادرين على حماية المسلمين والدّفاع عن الأندلس من السقوط بأيدي النّصارى، كلّ هذه الأحداث إستدعت تدخّل المرابطين بشبه الجزيرة الأيبيرية[3] لتخليصهم من الخطر الذي كان يحدّق بهم والمتمثّل في الخطر النّصراني[4].

---

[1] ابن الخطيب، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح، وتع، ليفي بروفنصال، دط، دار المكشوف، بيروت، 1956م، ص 144.

[2] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص ص 430،431.

[3] إيبيريا: (Iberia) وهو الإسم القديم الذي أطلقه الفينيقيون والإغريق على شبه الجزيرة نسبة إلى العناصر الإيبيرية الحامية الليبية Iberos التي هاجرت إليها من شمال أفريقيا وإستقرت فيها وأعطتها إسمها إيبيريا. ينظر: أحمد مختار العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ط1، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000م، ص 11.

[4] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص 431.

3- الصّراع بين ملوك الطوائف و توحّد الممالك النصرانية :

أصبح صراع المسلمين فيما بينهم واضحاً للأعداء النّصارى، والضعف الذي أصبح يدبّ في أوصالهم من خلال التحالف ضد بعضهم البعض مع العدوّ، أين بدأ ملوك الطوائف في استمالة النّصارى إلى جانبهم من خلال الأموال ليعينوهم على اخوانهم من المسلمين، ليقابله في الجهة الأخرى فرح وسرور لدى النّصارى لهذا الإنقسام الواضح في صفوفهم[1]، وتلك هي فترة الطوائف حقّا التي إنقسم الأندلس فيها إلى وحدات سياسية عديدة كلّها صغيرة تعجز عن تدبير أمورها بنفسها، لتتدهور بذلك الأمور في الأندلس كلّها خلال هذه الفترة[2].

"في حين أن ملوك النّصارى في الشمال إستغلّوا ضعف الخلافة القرطبية أحسن إستغلال، فوسّع كلٌ منهم رقعته على حساب المسلمين فانحدرت حدود الأندلس إلى نهر تاجة، فيما عدا الناحية الشرقية إذ بقيت حدود الأندلس هناك في حوض نهر الإبرو، فبدأت الإستغاثات حين بدأت تتساقط الحصون في أقصى الشمال النصراني، وبعد سقوط الخلافة الأموية بدأ التمزّق يتّسع أكثر من الأوّل، وكما سبق ذكره ظهر على إثر ذلك ملوك الطوائف متناحرين فيما بينهم"[3]، (422-484ه/1031-1091م)[4]في شكل نزاعات وخلافات داخلية التي مازادتهم إلا مهانة وضعفا وتشتيتا للشمل وتفريقا للكلمة في الوقت الذي سلكت فيه الممالك النصرانية إتّجاها معاكساً لما سلكه ملوك الطوائف، وبدأت تجمع رأيها بقيادة " فرناندو " ملك قشتالة وليون، وعاودت التفكير في الإستيلاء على أراضي المسلمين، وقد كانت العوامل مساعدة على ذلك منها مناصرة البابوية، ووقوف الكنيسة

---

[1] ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص 77.

[2] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص 417.

[3] عبد الحكيم ذو النون، آفاق غرناطة (البحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي)، ط1، دار المعرفة، دمشق، 1989م، ص 27.

[4] علي عطيّة الكعبي، التعايش السلمي بين الأديان السماوية في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى نهاية دول الطوائف، ط1، دار الكتب والوثائق، بغداد، 2014م، ص 215.

الكلونية التي أذكت الروح الصليبية وقامت إلى الدعوة لحرب مقدسة ضدّ المسلمين في شبه الجزيرة الأيبيرية من أجل إخراجهم منها[1].

ظلّ خطر الممالك النصرانية في الشمال يزداد ويرتفع مهدّدا الجميع بإسقاط مملكتهم وحجب ظلّ الإسلام عن الأندلس كلّها[2]، ليظلّ الإتجاهان المتناقضان في التنامي والإزدياد كل في جهته، فقوة النصارى في تزايد مستمرٍ ويرون أنّ السيطرة على الجزيرة أصبح ممكناً وقوة ملوك الطوائف في تناقص وتباعد أدى إلى الهيمنة عليهم جميعا وأجبروا على دفع الجزية للنصارى وهم كارهون.

وكان للإستقرار الذي شعرت به الدّول النصرانية بعد تولّي ألفونسو السادس مقاليد الحكم، وإزاحة اخوته لتدخل كافة المدن النصرانية تحت إمرته، الأثر البارز في الصّراع القائم بين الإسلام والنصرانية في هذا القرن[3]،فقد وجّه مملك ليون[4]و غالسيا ونفارا،وقشتالةكل إهتمامه للإستلاء على جميع أرجاء شبه الجزيرة[5]، فأثار الفتن بين المسلمين، وأغار عليهم وقام باستترافهم اقتصاديا وعسكريا، ممّا دفع ملوك الطوائف لدفع الإتاوات له[6].

---

[1] يوسف شحدة الكحلوت، المرجع السابق، ص ص 32،31.

[2] إبن حيّان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تح، محمود علي مكّي، دط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1994م، ص 65.

[3] يوسف شحدة الكحلوت، المرجع السابق، ص ص 33-35.

[4] ليون: كانت مملكة ليون أولى الممالك النّصرانيّة التي نشأت بعد فتح العرب لإسبانيا سنة 92ه/ 711م، وتولت حركة مقاومة المسلمين، أمّا تفصيل ذلك هو أنّ أحد أمراء الإسبان يدعى بلاي كان قد هرب إلى منطقة جيليقية ببعض رجاله وتزعّم حركة مقاومة المسلمين في هذه المنطقة في أقصى شمال غربي إسبانيا ثمّ أنزل هزيمة بالمسلمين في موقعة كوفادونجا سنة133ه/750-751م، وأخذ يوسّع حدود إمارته حتّى شملت جزءا من مقاطعة جليقية و ناحيتي إشتوريش وكنتبريّة، كانت هذه المملكة تسمّى مملكة إشتوريش وجليقية وكانت عاصمتها مدينة أوفيدو، ثمّ أخت تعرف بإسم مملكة ليون بعد وفاة الملك ألفونسو سنة 1911م، فقد نقل إبنه وخليفته غرسية عاصمتها إلى مدينة ليون لتوسطها بين جليقية وإشتوريش. ينظر: هشام أبو رميلة، علاقات الموحدين بالممالك النّصرانية والدّول الإسلامية في الأندلس، ط1، دار الفرقان، الأردن، 1984، ص 301.

[5] رينهرت دوزي، المسلمون في الأندلس، تر و تع و تق، حسن حبشي، ج3، دط، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، 1990م، ص 125.

[6] يوسف شحدة الكحلوت، المرجع السابق، ص 35

"في ظل هذا الخضوع وهذه الإستكانة وإطمئنان النّصارى إلى ضعف المسلمين، وعقد ملك النّصارى حملة من مختلف البلاد النّصرانية مكوّنا بذلك جيشا ضخما بدأ به حملته عام 474ه، والتي مزّق بها الأندلس بما أحدثه من خراب ودمار وإفساد وقتل وسبي وغير ذلك من الجرائم، و لم يكتف بذلك بل بعث إلى كل قاعدة من قواعد الأندلس جيشا لحصارها ومحاولة الإستلاء عليها، وقد بدأ بطليطلة[1] عام 478ه/1085م[2] فغلب عليها واستولى على أعمالها وطمع في الإستلاء على الجزيرة كلّها، فهابه أمراء الطوائف بعد سقوط طليطلة كونها نقطة دائرتها[3]،وآثر بعضهم البقاء بها بعد سقوطها ودفع الجزية على أن يصبحوا عبيداً في ظلّ الحكم النّصراني[4].

كان سقوط طليطلة دليلاً واضحاً على فشل حكم ملوك الطوائف[5] وكان بمثابة الهاجس الخطير الذي شعر به المسلمون، خاصة الفقهاء الذين شعروا بأنّ ماحلّ بهم إنما هو عقاب من الله تعالى نظير ماعاشه ملوك الطوائف من ترف والتفريط في الرعيّة، وإنشغالهم في الملاهي والملذّات، فكان أوّل من تفطّن منهم المعتمد بن عبّاد حين شعر بمسؤولية ماجرى لطليطلة وبما قام به من مهادنة لألفونسو وتحالفه معه ضد إخوانه من المسلمين[6].

---

[1] طليطلة: (Toledo) مدينة عتيقة في إسبانيا تقع في وسط الجزيرة الإيبيرية على مسافة 91كم جنوبي غرب مدريد، وإرتفاعها على سطح البحر 568مترا، ويحيط بها نهر تاجة من الجهات الثلاث. ينظر: إبن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط- أعلام الأعمال، تح و تع، أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م، ص 237.

[2] يوسف شحدة الكحلوت، المرجع السابق، ص ص 35،36.

[3] مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح، سهيل زكّار، عبد القادر زمان، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1399ه، ص 38.

[4] عبد السّلام الترمانيني، أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السّنين، ج3، مج1، ط1، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1994م، ص 57.

[5] محمّد عيساوة، حياة البذخ وإنعكاساتها على المجتمع الأندلسي خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين(10-11م)، 11م)، رسالةماجستير في تخصص التاريخ الوسيط، بوزريعة، الجزائر، 2013/2012م، ص 89.

[6] يوسف شحدة الكحلوت، المرجع السابق، ص 36.

يذكر أبو العبّاس النّاصري في كتابه الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى بهذا الخصوص قائلاً " كان المعتمد بن عبّاد أحد ملوك الأندلس وممتلكا لأكبر بلادها مثل قرطبة وإشبيلية، وكان مع ذلك يؤدي الضريبة إلى الأذفونش كلّ سنة، فلمّا تملّك الأذفونش طليطلة أرسل إليه المعتمد الضريبة على عادته، فردّها عليه و لم يقبلها منه، ثمّ أرسل يهدّده ويتوعده بالمسير إلى قرطبة وتملّكها من يده إلاّ أن يسلّم إليه جميع الحصون التي في الجبل، ويبقي السهل للمسلمين"[1].

يقول أيضا ماملخصه: " أنّ المعتمد بن عبّاد أخّر الضريبة في سنة من السنين التي كان يدفعها للأذفونش عن وقتها ثمّ أرسلها إليه بعد، فغضب الأذفونش وطلب بعض الحصون زيادة عن الضريبة"[2]، وأن يسمح المعتمد بن عباد لزوجة ألفونسو بأن تلد في جامع قرطبة بعد أن أرسل إليه وفداً يقوده شالب اليهودي فقام بقتله المعتمد وأسر باقي أعضاء الوفد، ممّا أغاظ ألفونسو، ليقوم فور علمه بما حدث بالتوعّد على السير في جيش كبير يفوق عدد شعر المعتمد بن عبّاد[3]، فكان هذا دليلاً واضحاً على عزم النّصارى الإستيلاء على أراضي المسلمين[4].

[1] السلاّوي أبو العباس، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2، تح، جعفر الناصري، محمد الناصري، دط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، ص 34.

[2] السلاّوي أبو العباس، المصدر السابق، ص 34.

[3] يوسف شحدة الكحلوت، المرجع السابق، ص 36.

[4] عبد الحكيم ذي النون، المرجع السابق، ص 28.

4- إستغاثة ملوك الطوائف بالمرابطين :

بعد أن رأى رؤساء الأندلس ما نزل بهم من مضايقة عدو الدّين وإستطالته على ثغور المسلمين[1]، خلص ملوك الطوائف إلى طلب العون من المرابطين وهم بربر الصحراء [2]، فخطورة الموقف أجبرت المعتمد بن عبّاد على إرسال بعثة من كبار القضاة تمثّل مختلف الممالك الأندلسية لإيصال رسالتهم إلى المرابطين[3]. يقول ابن بسّام الشنتريني" لّما اشتدّ يومئذ كلب الرّوم، بهذا الإقليم..... استصرخ ملوك الطوائف بأفقنا أمير المسلمين أبا يعقوب يوسف بن تاشفين، رحمه الله، وألقو بأيديهم..." وقد وضّحوا له في الرّسالة ماحلّ بهم على أيدي النّصارى واستطالتهم على ثغور المسلمين[4].

بالفعل أدرك يوسف بن تاشفين[5] في بلاد المغرب ودعوه باسم ملوكهم للعبور والجهاد مع إخوانهم في الأندلس[6]،لأنّ ألفونسو عزم الإستيلاء على الجزيرة كلّها[7]، فوجدوا إستجابة إستجابة من أمير المرابطين يوسف بن تاشفين والذي بدوره قام باستشارة الفقهاء، أين اعتبروا ذلك واجبا دينياً يحتم عليهم الدفاع عن الإسلام والمسلمين بالعدوة المقابلة، وأخذ يجهّز للعبور إلى الأندلس، وتمكّن بالفعل من الجواز، وبدخوله إنضمّت إليه القوات الأندلسية مشكّلةً بذلك جيشا عظيما[8]، لمسح العار الذي لحق ملوك الطوائف بالأندلس من مذلّة

---

[1] السلاّوي ، المصدر السابق، ج2، ص 34.

[2] رينهرت دوزي، المرجع السابق، ص 130.

[3] يوسف شحدة الكحلوت، المرجع السابق، ص 37.

[4] ابن بسّام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح، إحسان عبّاس،مج1،دط، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1997م، ص 654.

[5] هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تورقيت بن ورتاقطن بن منصور بن مصالة بن مانية بن ونمالي، الصنهاجي. ينظر: مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 24.

[6] رينهرت دوزي، المرجع السابق، ص 130.

[7] مجهول، الحلل الموشية ،المصدر السابق، ص 38.

[8] يوسف شحدة الكحلوت، المرجع السابق، ص ص 37،38.

ألفونسو لهم[1]، وقد تحمّل يوسف الكثير من أعباء الكفاح المسلّح ضد أطماع النّصارى موقفاً بذلك زحفهم على البلاد الإسلامية بالأندلس[2].

أمّا في الجهة المقابلة كان ألفونسوا لايزال محاصرا " سرقسطة "[3] وقد قام بتضييق الخناق الخناق على إبن هود بها[4]، فلمّا تحقّق من جواز يوسف[5] ارتحل عن سرقسطة وقصد نحو أمير أمير المسلمين[6]، و يقول إبن الخطيب لّما علم ألفونسو عزم ملوك الأندلس على إستصراخ يوسف بن تاشفين تحرّك يشقّ الأندلس شقّا وكتب إلى يوسف بما نصّه " ... فإنّك اليوم أمير المسلمين ببلاد المغرب وسلطانهم، وأهل الأندلس قد ضعفوا عن مقاومتي... فإن غلبتني كان ملك الأندلس والمغرب إليك وإن غلبتك انقطع طمع الأندلس من نصرك إيّاهم ..."، فردّ عليه يوسف " من أمير المسلمين يوسف إلى أذفونش، أما بعد فإنّ الجواب ماتراه بعينك لا ماتسمعه بأذنك والسلام على من إتّبع الهدى"[7].

ويذكر عن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين أنّه كان يحثّ الجند على الجهاد بقوله "يا معشر المسلمين إصبروا لجهاد أعدائكم أعداء الله الكافرين، فمن رزق منكم الشهادة فله الجنّة، ومن سلم فقد فاز بالأجر العظيم والغنيمة "[8]، ليكون اللّقاء بين الجيشين في فحص

---

[1] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة الميرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1969م، ص 81.

[2] حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ط1، مكتبة الخانجى، مصر، 1980م، ص 28.

[3] رينهرت دوزي، المرجع السابق، ص 132.

[4] إبن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مرا، سهيل زكار، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421ه/2000م، ص 248.

[5] ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4، تح و مرا، إحسان عبّاس، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ص 134.

[6] السلاّوي أبو العباس، المصدر السابق ، ج2، ص 32.

[7] ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط(أعمال الأعلام)، المصدر السابق، ص ص 238-240.

[8] أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس، دط، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص 148.

الزّلاّقة[1] بعد عام واحد من سقوط طليطلة في يد ألفونسو السادس ملك قشتالة 478ه/ 1085م[2]، قرب مدينة بطليوس في 12رجب 479ه/1086م،وكانت طلائع المسلمين بقيادة المعتمد بن عبّاد[3] أين بذلوا الغالي والنّفيس من أجل نصرة الدّين والبلاد الإسلامية بمساندة إخوانهم المرابطين[4].

ضعفت مقاومة المسلمين في بادئ الأمر أمام سيل جند ألفونسو الجارف، وبدأ التراجع بين مسلمي الأندلس شيئا فشيئا، فترك النّصارى مواقعهم الأصلية وأخذوا يتعقبون أهل الأندلس وهم في حالة تراجع أملاً في إيقاع الهزيمة بابن عباد، وفي هذه اللّحظة الحاسمة والحرجة عمد يوسف بن تاشفين إلى مفاجأته لتنقلب الأمور رأساً على عقب، فقد وثب بجيشه في أتون المعركة، فما إن علم أهل الأندلس بذلك حتّى انقلبوا من التراجع إلى المبادرة بالهجوم وأطبقوا على النّصارى من الخلف، وأجبر ألفونسو على أن يخوض المعركة بين سندان ابن عبّاد ومطرقة يوسف ابن تاشفين[5].

---

[1] الزلاّقة: موضع صغير يسمى اليوم Sagrajas ، ينظر: إبن الأبار،الحلة السيراء،المصدر السابق، ج2، ص 101.

[2] حسين مؤنس، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد النصارى سنة 512ه/1118م، دط، مكتبة الثقافة الدينية، البور سعيد، 1992م، ص 5.

[3] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص 432.

[4] المرابطون: دولة إسلامية أمازيغيّة حكمت المغرب، وشكلت في القرن الحادي عشر إمبراطورية شملت المغرب والأندلس، كانت عاصمتها مراكش التي تأسّست في عام 1062م، ترجع أصول حكامها إلى القبائل الأمازيغية في لمثونة جنوب الصحراء الكبرى، لعبت دورا كبيرا في تجنب سقوط الأندلس أمام الممالك النصرانية الإيبيرية، حتى ألحق حاكمها يوسف بن تاشفين هزيمة ساحقة باتلاف من الجيوش القشتالية والأراغونية بقيادة ألفونسو السادس في معركة الزّلاّقة في الثالث والعشرين من أكتوبر 1086م التي سميت بذلك الإسم لأن الجنود كانوا يتزلقون على الأرض بسبب الدّماء الكثيرة التي أريقت فيها، لكن هذه الإمبراطورية لم تدم طويلا، إذ سقطت في أوجّ قوتها بسبب ثورة من قبائل مصمودة بقيادة إبن تومرت مؤسس دولة الموحدين. ينظر: ماثيو كار، الدّين والدّم إبادة شعب الأندلس، تر، مصطفى قاسم، مرا، أحمد خريس، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، أبوظبي، 2013م، ص 60.

[5] فتحي زغروت، الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين(المغرب والأندلس)، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، دم، 2005م، ص 320.

أبلى ابن عباد البلاء الحسن في هذه المعركة مكفرا بذلك عن أخطائه في مهادنته للنّصارى من قبل، لتواصل جيوش المسلمين وجموع المرابطين إنقضاضها على الجيش النّصارى لتقتل معظمها وانتهى ذلك اليوم بنصر عظيم للمسلمين، كانت نتيجته توقّف تقدّم النّصارى وثبات حدود الإسلام على ماوجدها عليه يوسف بن تاشفين[1].

وقد جاز يوسف بن تاشفين بعد ذلك للمرّة الثانية، وكانت وجهته هذه المرّة حصنا يسمّى لاييط[2]، ليبدأ استيائه من الوضع الداخلي الذي آلت إليه الأندلس[3] وقد كان ذلك سنة 481ه/1092م[4] ليكتشف النوايا الحقيقية لملوك الطوائف[5] و عبر يوسف بن تاشفين أيضاً إلى الأندلس وكان جوازها بها سنة 483ه/1092م[6]، "لتبيّن له تخاذلهم فإستقرّ رأيه على عزلهم فقد عزلهم يوسف جميعا ووحّد بلاد الأندلس فيما عدا إمارة سرقسطة التي وجد يوسف إبن تاشفين أن لايزجّ أصحابها لأنهم محاصرون بالنّصارى من كلّ ناحية، وقد خاف أنه إذا فعل شيئا أن يسلموا بلادهم للنصارى فتركهم على حالهم، وبذلك إنتهى عهد الطوائف وبدأ عصر المرابطين في الأندلس وجهادهم فيها"[7].

غنم الإسلام حياة جديدة في الأندلس إمتدت إلى أربعة قرون أخرى، مهدت بذلك الطريق لسيطرت الدولة المرابطية على البلاد الإسلامية في الأندلس وبعدها لخلفائهم

---

[1] محمد أحمد أبو الفضل، تاريخ مدينة الميرية الأندلسية في العصر الإسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، دط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996م، ص 130.

[2] حصن لاييط: هو حصن حصين على رأس جبل شاهق، بينه وبين لورقة نصف يوم، يملكه العدو، وكانت سراياه تغير شرقا وغربا. ينظر: مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 67.

[3] محمد أحمد أبو الفضل، المرجع السابق، ص 130.

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص 141.

[5] فضيل بو الصوف، العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر ملوك الطوائف ق5ه/11م، رسالة ماجستار في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011/2010م، ص 143.

[6] ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص 143.

[7] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص 432.

الموحدين، الذين أقاموا دولتهم في العدوة المغربية على يد المهدي بن تومرت (514ه/1120م) ليعبروا هم أيضا إلى الأندلس ويدافعوا عن الإسلام والمسلمين بها[1].

وجعلت بالتالي الأندلس تابعة لبلاد المغرب[2]لمدة قرن ونصف قرن من الزمان[3]، بعد أن سقطت دولة المرابطين على يد عبد المؤمن الموحدي أين تظافرت عوامل عدّة كانت ممهدة لقيام دولة الموحدين على أنقاض الدولة المرابطيّة[4].

في ظرف وجيز أصبحت دولته تمتد من برقة غربا إلى المحيط شرقا[5]، و سنرى فيما بعد بعد كيف سيستتبّ لهم الأمر بالأراضي الأندلسية وكيف كانت أحوالهم فيها مع أهم الممالك النصرانية التي إستولت على جزء كبير من البلاد الإسلامية بالأندلس[6].

---

[1] أمين توفيق الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، دط، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1984م، ص 234.

[2] بلاد المغرب: كان الإغريق يسمون القسم الشّمالي منها الذي كان يسكنه العنصر الأبيض بإسم ليبو أو ليبيا، بينما كانوا يطلقون على الصحراء إسم بلاد الأحباش السود، أمّا لفظ إفريقيّة، فقد أطلقه الرومان على الإقليم الّذي يقابل اليوم الجزء الشمالي الشرقي من الجمهورية التونسية، ويشتمل على قرطاجنّة وماحولها حتّى نوميديا غربا، وكان يعرف بإسم ولاية إفريقية القنصليّة، وأطلقه العرب على كلّ مايلي طرابلس غربا، وقد اصطلح تقسيم المغرب إلى ثلاثة أقسام كبيرة، بحسب قربها أو بعدها عن مركز الخلافة في المشرق وهي: المغرب الأدنى ويسمى أيضا إفريقية، المغرب الأوسط، والمغرب الأقصى. ينظر: عصام عبد الرؤوف الفقّي، تاريخ المغرب والأندلس، دط، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1990م، ص ص 12،11. و ابن القاضي أحمد المكناسي، جذوة الإقتباس، دط، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، ص ص 12،11.

[3] عطيّة القوصي، دفاع المسلمين عن عقيدتهم في العصور الوسطى، ط1، دار الفكر الغربي، القاهرة، 2012م، ص 333.

[4] إبراهيم حركات، المغرب عبر التّاريخ، ج1، ط1، دار الرّشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000م، ص 244.

[5] عمر راكة، العلاقات الدبلوماسية للدولة الموحدية بالممالك الإسبانية والبابوية، دورية كان التاريخية، العدد14، 2011م، ص 113.

[6] الحبيب حاكمي، الإسهام العلمي للبربر في الأندلس على عهد الموحدين من منتصف القرن السادس إلى مطلع السابع السابع الهجريين (ق 12- 13م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة وهران، الجزائر، 2009-2010م، ص 54.

I. الفصل الأول : الأوضاع السياسية للمدن الأندلسية في ظل هيمنة مملكتي قشتالة و أراغون .

1- بروز ممالك شبه الجزيرة الأيبيرية وسقوط المدن الأندلسية.

2- الوضع السياسي للمدن الأندلسية تحت حكم مملكة أراغون.

3- الوضع السياسي للمدن الأندلسية إبان الحكم القشتالي.

4- ردود فعل الأقليات المسلمة إزاء السياسة النصرانية.

إن الانقسام السياسي الحاد الذي أصاب الدولة الإسلامية بالأندلس خصوصا بعد أفول نجم الخلافة الأموية ، أعطى الفرصة و المجال للممالك النصرانية الناشئة في الشمال إلى أخذ زمام المبادرة و البدء في مهاجمة أملاك المسلمين و الإستيلاء عليها ، في اطار مايسمى بحروب الإسترداد ، حيث كرست هذه الممالك طاقاتها و تناست أحقادها في سبيل انتزاع الأراضي الإسلامية و ضمها لممتلكاتها مدفوعة في ذلك بالتعصب الديني الذي ميز الصراع بينها و بين المسلمين .

لقد أدى ضعف المسلمين و انقسامهم إلى سقوط مدنهم الواحدة تلو الأخرى بيد الممالك النصرانية التي لم تتوانى في فرض نمط تسيير خاص بهذه المدن ينطوي على أبعاد سياسية و اجتماعية و أخرى اقتصادية خاصة في ظل وجود جالية مسلمة كبيرة بهذه المدن الأمر الذي يشكل خطر داهم في اعتقاد ساسة هاته الممالك كما يعتبر مصدر للثروة و الدخل في الوقت ذاته نظرا للأهمية الإقتصادية التي تشكلها هاته الفئة بفعل كفاءتها المهنية و العملية .

إن البعد السياسي في السياسة النصرانية بالمدن الإسلامية يشكل واجهة هامة في الدراسة لأنه يعكس التطور الحاصل في أوضاع هذه المدن ، و الذي يهدف في مجمله إلى طمس المعالم الإسلامية و تعويضها بمعالم مسيحية مع اقصاء الفئة المسلمة و حرمانها من حقوقها و امتيازاتها المشروعة ، الأمر الذي سيؤدي لا محالة إلى ظهور معارضين لهذه السياسات من رحم هذه الفئة المحرومة تحملت مسؤولية استرجاع الحقوق و استنهاض الهمم لمواجهة التسلط و الطغيان النصراني المشبع بالتعصب الديني .

1- بروز ممالك شبه الجزيرة الأيبيرية وسقوط المدن الأندلسية :

1-1- بروز ممالك شبه الجزيرة الأيبيرية :

تعتبر ثغرة المناطق الشمالية العليا التي قام بإهمالها الفتح العربي الإسلامي للأندلس، النواة الأساسية للممالك النّصرانية فمنها انطلقت حركة المقاومة بقيادة بلاي (توفي سنة 119ه/ 737م)، والذي بدوره تمكّن من غرس المقاومة لدى النّصارى في شمال الأندلس، حيث قام بتأسيس مملكة اشتوريش الصغيرة التي أخذت تنمو وتتّسع، لتضمّ إليها أماكن قد هجرها العرب المسلمون مثل جليقية و استورقة والمدن الواقعة خلف الجبال [1].

إثر النّزاع الناشب بين أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي وثوابة بن سلامة الجذامي سنة 128ه/745م، استولت هذه المملكة على مناطق جديدة تركها المسلمون بما فيها مدينة ليون والركن الشمالي الغربي من الأندلس والذي عرف فيما بعد بمملكة ليون، وذلك على يد حفيد بلاي الملك ألفونسو الأول (122-140ه/739-757م) وسمّاه أهل الأندلس أذفونش بن بطرة أو القطوليكي، أي الكاثوليكي[2].

وبعد انهيار الدولة الإسلامية الكبرى بالأندلس أوائل القرن الحادي عشر، من خلال الإنقسام الذي حصل في صفوف المسلمين إلى دويلات وإمارات متخاصمة تعرف بملوك الطوائف، كان النّصارى يمرّون بمرحلة مماثلة ، لكنّها لم تصل إلى ماوصل إليه المسلمون من الإنقسام والتشتّت، و قامت بالتوحّد في أوائل القرن الحادي عشر بقيادة سانشو الثالث الملقّب بشانجة ملك نافار (نبرة أو بلاد البشكنش)[3].

---

[1] عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود(91-797ه/710-1492م)، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2002م، ص 95.

[2] المرجع نفسه، ص 95.

[3] محمد عبد الله عنّان، دولة الإسلام في الأندلس، ج5، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ص 84.

إنقسمت "مملكة سانشو" بعد وفاته في سنة 1035م بين أولاده الأربعة، فـــاختصّ ولـــده فرناندو بقشتالة[1] وانفصلت بذلك عن حكم صاحب ليون و لم تعد فيها لملوك ليون طاعة[2] بالإضافة لغرسية ونفار، اختصّ راميرو بمنطقة ضيّقة وتقع جنوباً اطلق عليها اسم مملكـــة أراجون، فكان هذا نشأة هذه المملكة النّصرانية التي كبرت ولعبت دوراً بارزا في الحـــروب النّصرانية ضد المسلمين فيما بعد، وأمّا مملكة ليون وجليقية[3] في الغرب اختصّـــت بحكـــم برمودو الثالث، وقامت بجانب البحر إمارة قطلونية المستقلّة يتولّاها آل برنجير[4].

بدأت أحوال الممالك النّصرانية في شبه الجزيرة الأيبيرية من القرن الخامس الهجري الحـــادي عشر ميلادي تختلف اختلافاً متبايناً من حيث القوّة الحربية، ففي مملكتي ليون وقشتالة كان آخر العهد بألفونسو السادس الذي توفي في العام التّالي وخلفته ابنته دونيا أراكة وبوفاتـــه اهتزّت مملكة قشتالة نوعاً ما، وكان يتولّى مملكة البرتغال الفتيّة الأميرة دونيا تيريزا ابنة هنري دي بورجوني والذي كان مهدّداً البلاد الأندلسية من الناحية الغربية[5].

" أمّا الجانب الشمال الشرقيّ فكان يتولّى أمرها ملكان قويّا الجانب مرهوبان لدى رعيتهما طالما ضيقا على المسلمين في الأندلس هما ألفونسو المحارب ملك أراغون، ورامـــون بـــرنجير

---

[1] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج5، ص 84.

[2] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص 325.

[3] جليقية: قسمه الأوائل إلى أربعة أقسام فالقسم الأوّل هو الذي يلي الغرب وينحرف إلى الجوف، وساكنوه هم الجلالقة وموضعهم جليقية، وكانوا حوالي مدينة يراقرة التي هي متوسط الغرب، اما القسم الثاني: هو المسمى بأشتوريش وسمي بذلك بواد لهم يقال له إشترو منه شرب جميع بلادهم، والقسم الثالث: ماكان من جيليقية بين الغرب والقبلة ويسمى أهله البرتقالش، والقسم الرابع: ماكان بين الشرق والقبلة ويسمى بقشتيلة، وقشتيلة القصوى وقشتيلة الأدنى، فالأدنى من حصونها غرنون والقصير وبرغش وأماية. ينظر البكري، المسالك والممالك، تح، جمال طلبة، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص 398.

[4] محمد عبد الله عنّان، المرجع السابق، ج5، ص ص 84،85. وينظر: José Marí a, M, Historia de la España Medieval,EdicionesUniversidad de Salamanca, 22 sept. 2014, p p 123-138.

[5] حمدي عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دط، دار المعرفة الجامعية، مصر،1997م، ص 155.

الثالث صاحب قطلونية وقد تميّز كلاهما بعدائهما الواضح للإسلام في الأنـــدلس والرغبـــة الشديدة في إرجاع شبه الجزيرة الأيبيرية إلى النّصرانية"[1].

و بمرور الزمن تغيّرت أحوال هذه الممالك النّصرانية أين بدأت تسير بخطى ثابتـــة نحـــو التوحّد، من خلال العمل مع مرور الزّمن على تجميع كلمتها، حيث أن قشـــتالة ســـعت جاهدةً لضم مملكة ليون إليها، وكانت أراجون تريد ضمّ قطلونية التي كانت تحجبها عـــن البحر[2]، فعملت المملكتان على إقتسام مملكة نافار بالقوّة وهذا ماحدث ، فاستولت قشتالة على القسم المحاذي لنهر إيبرو، وأراجون على القسم الواقع على جبال البرنيه[3].

و استطاعت مملكة نافار ان تستردَّ استقلالها بعد أن تقاسمتها مملكتي قشتالة وأراغون، ذلك بعد وفاة ألفونسو المحارب ملك أراجـــون الذي خلـــفه أخوه الراهب المدعو راميرو سنة 1134م، فأقام أهل نافار على العرش أميراً من سلالتهم هو غرسية راميس واستقلت عـــن قشتالة وأراجون أين بدأت حكماً جديداً بقيادتها. لكن مملكة أراجون وقطلونيـــة اتّحـــدتا بالفعل من خلال زواج ريمون برنجير أمير قطلونية بترونلا ابنة راميرو ملك أراجون[4].

بدأت الأوضاع السياسية تتغيّر في شبه الجزيرة الأيبيريّة مع اســـتفحال فكـــرة إســـتطراد المسلمين أو كما يعرف بحروب إستيلاء النّصارى على أراضي المسلمين مع الملك النّصراني شانجة سنة 1000م، والذي بدوره استطاع أن يوحّد قوى النّصارى في نـــبرة، وقشـــتالة وليون، وأرغونة، وبرشلونة عن طريق المصاهرات حتّى تمكّن من فرض سيادته على اسبانيا النّصرانية[5].

---

[1] حمدي عبد المنعم، المرجع السابق ، ص 155.

[2] José Marí a, op cit, p p 133-138.

[3] محمد عبد الله عنّان، المرجع السابق، ج5، ص 85، وينظر تحليل الباحث:. Miguel Carlos, V. Gómez, Reinado y diplomas de Sancho II de Castilla y León, Ediciones La Ergástula España, 2014, p p 51 58.

[4] محمد عبد الله عنّان، المرجع السابق، ج5، ص 85.

[5] فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 306.

و بعد وفاة شانجة خلفه إبنه فرديناند الأوّل الذي شجّع بدوره فكرة استيلاء النّصارى على بلاد المسلمين من خلال بثّ النزعة الصّليبية لها، حيث بدأ النّصارى في كافة جهات شبه الجزيرة الأيبيرية ينظرون إليها على أنها حروب مقدّسة ، أين لقيت الحروب الصليبية ضد المسلمين دعمها الرئيسي من الكنيسة الرومانية[1]، سواء في أيّام الحرب أو السلم في العصور الوسطى فكانت مشجّعة للحروب الصليبية دفاعا عن العالم النّصراني ومن أجل توسيع رقعته الجغرافيّة، لتعرف فكرة الحرب المقدّسة تطوّراً في الغرب وممارستها تحت رعاية البابوية، وظهر الخطر النّصراني في أواسط القرن الحادي عشر بعد انقسام وتشتّت الدولة الإسلامية بشبه الجزيرة الأيبيرية إلى امارات طائفية[2].

مع مرور الوقت أصبح الحافز أكبر لدى الممالك النّصرانية في الإستيلاء على أراضي المسلمين[3]، "مستغلّين التشتّت والفرقة في عصر ملوك الطوائف أين كانت الممالك النّصرانية في الشمال تنتظر الفرصة السانحة من أجل الإستيلاء على أراضي المسلمين وإخراجهم منها أين سنرى ذلك من خلال البداية الحقيقية لحروب النّصارى ضد المسلمين بدءاً بعاصمة القوط قديماً طليطلة"[4].

[1] فتحي زغروت، المرجع السابق ، ص ص 306،307.

[2] مفيد الزّيدي، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2003م، ص 17.

[3] ستانلي لين بول، قصّة العرب في إسبانيا، تر، علي الجارم بك، دط، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2012م، ص 80.

[4] عصام محمد شبارو، المرجع السابق، ص 227.

1-2- سقوط المدن الأندلسية :

1-2-1- سقوط طليطلة:

كان المسلمون بالأندلس في جهاد مس تمر مع النّصارى منذ وطأتها اقدام طارق بن زياد[1] وموسى بن نصير[2]، أين رفعوا راية الأمويّين على أرضها وأجبروا أعدائهم بالتروح إلى الشمال[3] لتمرّ السِّنينُ ويصبح للمالك النّصرانيّة الدور البارز في تقليص رقعة الدّولة الإسلامية في الأندلس وذلك من خلال النجاح في إسقاط مجموعة من المدن الإسلامية بالأندلس، ثمّ القيام بعملية طرد المسلمين من شبه الجزيرة الأيبيرية في نهاية الأمر[4].

قام النّصارى باستغلال هذه الأوضاع السياسية في الأندلس بعد مراحل من الضعف السياسي الذي تزامن مع عصر ملوك الطوائف[5]، والذي تعود بدايته بقيام إمارة بني جهور في قرطبة سنة 422ه/1031م، بالرغم من قيام بعض الدويلات التي سبقت دويلة بني جهور وعاصرتها، أو تخلّفت في نشأتها بعدها بفترة، ممّا يعني أنّ هذا العصر بدأ مع قيام دويلة بني حمود في مالقة والجزيرة الخضراء سنة408ه/1016م[6].

---

[1] طارق بن زياد: فاتح الأندلس الشهير، أسلم على يد موسى بن نصير فكان من أشدّ رجاله، ولّما فتح موسى طنجة ولاّه عليها سنة 89ه فأقام فيها إلى سنة 92ه ثمّ غزى الأندلس على رأس جيش يتألّف من 12 ألف مسلم بربري وبعض المئات من المسلمين العرب، فعبر المضيق المنسوب إليه الفاصل بين المغرب وإسبانيا وأنزل البر المقابل وأحرق سفنه وخطب في جنوده الخطاب الشهير، وتغلل في الأندلس وإستولى على مناطق كثيرة وقام بفتحها، ولد حوالي سنة 50ه وتوفي سنة 102ه. ينظر: ابن القاضي ، المصدر السابق، ص 16.

[2] موسى بن نصير: بن عبد الرحمن بن زيد اللخمي، أصله من واد القرا بالحجاز، ولد سنة 19ه، وكان أبوه نصير على حرس معاوية، ونشأ موسى بدمشق، وسار حتّى بلغ سبتة وطنجة، وجاز لجزيرة الأندلس فاستفتحها مع مولاه طارق بن زياد، وأسلم علي يده أيضا بعض من المغرب. ينظر: ابن القاضي، المصدر نفسه، ص ص 15، 16.

[3] محمد كرد علي، غابر الأندلس وحاضرها، دط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013م، ص 111.

[4] بوحسن عبد القادر، الأندلس في عهد بني الأحمر دراسة تاريخية وحضارية(635-897ه/1238-1492م)، أطروحة دكتوره في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة | أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2012-2013م ، ص 63.

[5] حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 156.

[6] عصام محمد شبارو، المرجع السابق، ص 212.

وقد شهد عصر ملوك الطوائف وقائع وأحداث ميزتها سمة الإستعانة بالنّصارى من خـــلال تميّز بعض الممالك الطائفية بها في المجتمع الأندلسي في هذا العصر، ويمكن ذكر البعض منها أهمها: تحالف "المأمون بن ذي النون" ملك طليطلة مع "غرسية" ملك نبرة على "المقتدر بن هود" صاحب سرقسطة، وتحالف هذا الأخير مع ملك قشتالة ضدّ خصمه المسلم، ممّا شجّع النّصارى على مواجهة المسلمين وبمساعدة ملوك الطوائف لهم[1].

شعر المسلمون بالخطر الذي أصبح يحدّق بهم وتأثروا به منذ أن استطاع النّصارى عبور نهر تاجة متوسط شبه الجزيرة في شكل حروب، وتمكّنوا من الإستيلاء على طليطلة ثالثة القواعد الأندلسية الكبرى بعد قرطبة وإشبيلية[2]، فبعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس أواخر القرن الرابع هجري شكّل سقوط أهم القواعد الشهيرة التي كانت ترتفع بمجتمعاتها وحضـــارتها الرفيعة خلال العصور الوسطى ضربة قوية للدّولة الإسلامية في الأندلس، فكانـــت المـــدن الأندلسية كلّما سقطت قواعدها وثغورها في أيدي الممالك النصرانية تـــألف بعزائهـــا إلى القواعد الباقية تحت سيطرت المسلمين[3].

أمّا فيما يخصّ طليطلة على الرغم من الضعف الذي كانت تشهده الدولة الإســـلاميّة في الأندلس إلاّ أنّ ألفونسو السادس أجّل السيطرة عليها وذلك من أجـــل اضـــعاف ملـــوك الطوائف من خلال صراعاتهم فيما بينهم المستمرّة، بحيث يأتي زمن يصبحون فيـــه غـــير قادرين على المقاومة[4]، إلى أن قرّر الإستيلاء عليها وكان له ذلك في سنة 478ه/1085م[5] 478ه/1085م[5] وكان ألفونسو هو أوّل من أطلق على نفسه اسم إنبردور ويقصـــد بـــه سلطان السلاطين[6]، وجاء سقوط طليطلة هذا بعد أن صمد أهلـــها واســـتنفذوا قـــدراتهم

[1] محمد عيساوة، المرجع السابق، ص 90.

[2] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج5، ص 20.

[3] المرجع نفسه، ص 16.

[4] عبد المجيد نعنعي، الإسلام في طليطلة، دط، دار النهضة العربية، بيروت، دس. ، ص ص 292،293.

[5] علي المنتصر الكتّاني، انبعاث الإسلام في الأندلس، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2005م، ص 33.

[6] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص 330.

بالحصول على العون من أبناء جلدتهم، فخلصوا إلى الإستسلام كي تحفظ كرامتهم ولايحرموا من معتقداتهم ومن أجل أن تصان أملاكهم وأنفسهم وفق شروط أهمها: الأمان المطلق في أنفسهم وأموالهم وأهليهم وبنيهم، وأن يسيروا على أحكام شريعتهم ويحتفظوا بقضائهم والمسجد الجامع في طليطلة[1].

يقول إبن الأثير بعد سقوط طليطلة: "خرج الأذفونش صاحب طليطلة بالأندلس إلى بلاد الإسلام يطلب ملكها والإستيلاء عليها"[2]، وبالفعل استولى القشتاليون على جميع أراضيها الممتدّة شمالي نهر التاج بين مدينة طلبيرة غرباً وبلدتي وادي الحجارة وشنتمريّة في الشرق، ليكون حجم الخسارة فادحاً، اذ تركوا للنّصارى ربع مساحة البلاد الإسلامية في الأندلس، تشتمل على عدد من المزارع والقرى بينها ثمانون موضعاً في كلّ منها مسجد ومدن طالما كانت حواضر افتخر بها المسلمون قديماً مثل ماقدة والفهمين ومجريط وطلمنقة ووادي الحجارة وغيرها من المدن الأخرى[3].

يعتبر سقوط طليطلة الكارثة التي أصابت المسلمين كدين ودولة ليضعهم سقوطها على حافة الخروج من الجزيرة، وقد ذكر سقوطها الفقيه الشاعر ابن العسال في قصيدة أبرز ماجاء فيها قوله: [الطويل]

شُدُّواْ رَوَاحِلَكُمْ يَاأَهلَ أَندَلُسٍ فَمَا المَقَامُ فِيهَا إِلاَّ مِنَ الغَلَطِ

الثَوْبُ يَنْسِلُ مِنْ أَطْرَافِهِ وَأَرَى ثَوْبَ الجَزِيرَةِ مَنْسُولاً مِنَ الوَسَطِ[4].

لم يكن ألفونسو قد استقرّ في طليطلية فحسب مع نهاية عام 1085م، وإنّما في مكان يؤهّله لأن يسيطر فيما بعد عن كلٍّ من بلنسية و سرقسطة[1]، ممّا دعى أهل الأندلس إلى أخذ

[1] عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص ص 303،304.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مرا، محمد يوسف الدّقاق، مج9، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص 136.

[3] عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص 304.

[4] المرجع نفسه، ص 308.

أخذ الحيطة والحذر[2]، فكان الأثر كبيراً في النّفوس، غير أنّ مرور المرابطين إلى الأندلس من خلال إستغاثة ملوك الطوائف بهم إستطاعوا إثر موقعة الزلاّقة (479ه/1086م) التي حقّقت انتصاراً للمسلمين بعد جواز يوسف بن تاشفين أمير المرابطين من المغرب إلى الأندلس أن يؤخروا سقوطها لما كان لها من نتائج خاصة ًعلى الصعيد السياسي والعسكري أين تأثّر النّصارى بخسائر ماديّة وبشرية مكّنتهم من وقف الزحف على الأراضي الإسلامية[3]، ليحافظ بذلك المرابطون على الهويّة الإسلامية في شبه الجزيرة الأيبيرية[4]، ويصف مجهول في الحلل الموشية هذه المعركة الشهيرة بأنها أعظم غزوة في الأندلس و لم تشهد البلاد مثلها، أين قتل فيها من النّصارى نحو 300 ألف نصراني[5].

1-2-2- توالي سقوط المدن الأندلسية:

رغم سعي المرابطين في الأندلس لإيقاف المدّ النصراني على أراضي المسلمين إلاّ أنّ موجة جديدة من الغزو النّصراني شكّلت خطراً على الأندلس مع بداية القرن السادس الهجري، بعد سقوط سرقسطة في يد النّصارى سنة(512ه-1118م)،[6]، وكان سقوطها نتيجة الحصار الذي دام زهاء سبعة أشهر عليها حتّى استطاع النّصارى دخولها [7] في أمم كالنمل والجراد وقاموا بصناعة أبراج من خشب ونصبوا عشرين منجنيقاً، وقاموا باسترافها اقتصاديا

---

[1] برنهارد والن ويشو، اسبانيا العربية (الأندلس)إضاءات على تاريخها وفنونها، تر، صفاء كنج، مرا، أحمد أيبش، ط1، دار الكتب الوطنية، الإمارات، 2014م، ص 276.

[2] محمد عبد الله عنّان، المرجع السابق، ج5، ص 18.

[3] آمنة سليمان البدوي، تجلّيات سقوط المدن الأندلسية في الشعر الأندلسي من(456ه- نهاية القرن 7ه)، دراسات العلوم الإسلامية والإجتماعية، المجلّد40،العدد2، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، 2013م، ص 266.

[4] محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 12.

[5] مجهول، الحلل الموشية المصدر السابق، ص 62.

[6] محمد عبد الله عنّان، المرجع السابق، ج5، ص 20.

[7] فايزة الحسّاني، تاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة الأموية حتّى سقوطها 316-512ه/ 928-1118م (دراسة سياسية وحضارية)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، السعودية، 1429-1430ه، ص 138.

أثناء الحصار حتّى فنيت الأقوات وقضي أكثر النّاس جوعاً إلى أن استسلم أهلها وخرجوا عنها إلى مرسية وبلنسية، وبالتالي سقطت سرقسطة قاعدة الإسلام الكبرى في شرق الأندلس وعجز المرابطون عن استردادها بحكم الظروف السياسية الجديدة التي أصبحت تعيشها في بلاد المغرب مع ظهور الدولة الموحدية التي استطاعت أن تقوم على أنقاضها[1].

و خلفت بذلك دولة الموحّدين الدولة المرابطية في الأندلس لتسعى جاهدة في الدّفاع عن الإسلام بها، فقد تمكّنوا بعد جوازهم إليها من إفشال محاولة ألفونسو السابع احتلال قرطبة وجيّان، أين تلقى خليفته ألفونسو الثامن هزيمة ساحقة في وقعة الأرك[2] سنة 591ه/ 1194م تمكّن فيها الموحّدون من تحقيق انتصار كبير على القشتاليين[3]، وبعد استقرارهم بها في أواخر القرن السادس الهجري توقف الزحف النّصراني، ليعود بعدها للظهور مجدّدا وبقوّة هذه المرّة بعد تمكّنهم من توجيه ضربة قاسية للموحدين في موقعة العقاب[4] يوم الإثنين 15 من صفر عام 609ه/ 1212م، ليصعّد النّصارى من حدّة هجماتهم على المدن الأندلسية بعدها [5].

"كانت أسباب هذه الهزيمة بسبب الإختلاف الحاصل في قلوب الموحّدين وذلك أنه كانوا على عهد أبي يوسف يعقوب يأخذون العطاء في كلّ أربعة أشهر، لايخلّ ذلك من أمرهم فأبطأ عنهم أبي عبد الله هذا العطاء خاصّة في هذه السّفرة، وخرجوا وهم كارهون فكانت

---

[1] حسين مؤنس، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، المرجع السابق، ص27، وينظر: Julio ValdeónBaruque, La Reconquista, El concepto de España, unidad y diversidad, Ediciones, Espasa, España, 2006, p p 85 93.

[2] عادل سعيد بشتاوي، الأندلسيون المواركة، دط، المكتبة الإسكندرية، القاهرة، 2001م، ص 12.

[3] جاسم ياسين الدرويش، حسين جبّار العلوي، مدينة بيّاسة الأندلسية(92-623ه/711-1226م، دورية جامعة بابل،مج24، العدد4، 2016م، ص 2033.

[4] محمد عبد الله عنّان، المرجع السابق، ج5، ص 20.

[5] بوحسن عبد القادر، المرجع السابق، ص ص 26،27.

هذه هي الهزيمة الكبرى على المسلمين بالأندلس وقد غنّم النّصارى الكثير من هذه الموقعة"[1].

أصبح مسلموا الأندلس بعد الموقعة التي هزموا فيها غير قادرين على مواجهة النّصارى وبدأ تساقط المدن والقلاع والحصون والمعاقل[2]، ليكون اضمحلال سلطان المسلمين في شبه الجزيرة واضحاً خلال عصر الموحدين بعد موقعة العقاب[3]، فسقطت بذلك جزيرة ميورقة سنة(627ه-1229م)، وبيّاسة سنة (623ه-1226م)، ثمّ تلتها سقوط أبّذة في يد النّصارى سنة (630ه-1233م) بعدما قتلوا أهلها واختصبوا أموالهم[4]، لتسقط بعد ذلك أحد أكبر قواعد المدن الأندلسية قرطبة سنة (633ه-1236م)[5] وبسقوطها قام النّصارى بوضع الصليب فوق منارة المساجد، وقاموا بتحويل مسجد عبد الرحمن الكبير إلى كنيسة[6].

كنيسة[6].

ثمّ سقطت مدينة إستجّة ومدينة المدور[7] (633ه-1236م)[8]، وبلنسية في يد أراغون.سنة (636ه-1238م)[9] بعد أن أنهك الحصار أهلها[10]، ليأتي الدور على دانية

[1] عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شر، صلاح الدّين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2006م، ص ص 235،236.

[2] ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دط، دار المنصور، الرباط، 1972م، ص 144.

[3] انخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، تر، حسين مؤنس، دط، مكتبة الثقافة الدينية، البورسعيد، دس، ص 126.

[4] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 236.

[5] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج5، ص 20.

[6] خوسيه أنطونيو كنده، تاريخ حكم العرب في إسبانيا، تر، لارا نيكولا قاليه، مرا، أحمد أيبش، ط1، دار الكتب الوطنية، أبوظبي، 2013م، ص 153، ينظر الملحق رقم : 07، ص 101

[7] المدور: حصن حصين مشهور بالأندلس بالقرب من قرطبة لهم فيه عدّة وقائع مشهورة. ينظر: الحموي، المصدر نفسه، ج5، ص 77.

[8] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 20.

[9] علي الكتاني، المرجع السابق، ص 35.

[10] خوسيه أنطونيو كندة، المرجع السابق، ص 158.

ولقنت أين سقطتا سنة (641ه-1244م)، وأوريولة[1] وقرطاجنّة سنة (643ه-1245م)، وشاطبة عام (644ه-1246م)، ثمّ مرسية (640ه-1243م)[2].

بعد سقوط مدينة مرسية استمرّ النّصارى في حروبهم على أراضي المسلمين و لم يكتفوا عند ذلك الحدّ، فقاموا بالسيطرة على القلاع والحصون الواحدة تلوى الأخرى ومن ضمن ما إستولى عليه النّصارى كانت منطقة بيجالاخار Pegalhajar ومنتيشاش Mentescas وأيضاً Carchena (قلشانة)[3].

تواصل التتابع المفرط لسقوط المدن الأندلسية في القرن السابع هجري الحادي عشر ميلادي لتسقط بذلك جيّان سنة (643ه-1246م)، ثمّ إشبيلية أبرز المدن والقواعد الأندلسية الشهيرة سنة (646ه-1248م)[4]، يقول الحميري في الروض المعطار: سقطت إشبيلية بعد بعد أن قام العدوّ النّصراني بمحاصرتها حتّى ساءت أحوال أهلها وخافوا ويئسوا من الإعانة[5].

الإعانة[5].

واستمرت بعد ذلك موجة الزحف النّصراني لتصل مدن غرب الأندلس بعد سقوط إشبيلية أهم قواعد المدن الأندلسية[6]، فكانت البداية مع مدينة بطليوس[7] سنة (627ه-1230م)،

---

[1] أريولة (Orihuela): المدينة الذهبية، وهي إحدى المدائن السبع التي عاهد عليها تدمير مع عبد العيز بن موسى إبان الفتح وتقع على ضفّة النهر الأبيض الذي يمرّ بها ومرسية وهي الآن مدينة من أعمال مقاطعة لقنت من مرسية، حيث تبعد عنها إلى الشّمال الشرقي بثلاثة وعشرين كيلومتراً. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، تح و تع، بشار عوار معروف، مج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م، ص 7.

[2] محمد عبد الله عنّان، المرجع السابق، ج5، ص 20.

[3] خوسيه أنطونيو كنده، المرجع السابق، ص ص 160،161.

[4] محمد عبد الله عنّان، المرجع السابق، ج5، ص 20، ينظر الملحق رقم : 01 ، ص 95

[5] الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح، إحسان عبّاس ، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م ، ص 60.

[6] علي منتصر الكتاني، المرجع السابق، ص 36.

[7] بطليوس: مدينة في غرب الأندلس على ضفّة وادي آنة، كانت في أيّام ملوك الطوائف عاصمة لبني الأفطس الذين بنوا فيها المباني الجميلة، وقد خصّها إبن سعيد المغربي بجزء من كتابه المغرب في حلى المغرب: سماء الفردوس في حلى مملكة بطليوس. ينظر: ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط- من كتاب أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص 242.

1230م)، ومدينة ماردة سنة (628ه-1231م)، ثمّ سقطت شلب (640ه-1242م)، وسقطت أشبونة وشنترة وشنترين في أيدي الممالك النّصرانية في سنة 542ه/ 1147م، وبعد ذلك لاردة[1] وأفراغة ومكناسة وطرطوشة سنة 543- 544ه/ 1148-1149م، ثمَّ سقطت شنتمرية الغرب عام (647ه-1249م)، ومدينة ولبةو لبلة سنة (655ه-1257م)، ثمّ سقطت بع ذلك قادس في سنة 1261م، وتلتها مدينة شريش في عام 1246م[2].

بحلول منتصف القرن السابع هجري الحادي عشر ميلادي كانت ولايات ومدن الأندلس الشرقية والوسطى كلّها قد سقطت في يد الممالك النّصرانية باستثناء مملكة غرناطة التي بقيت صامدة في وجه النّصارى واستطاعت أن تذود عن الإسلام ودولته الباقية أكثر من قرنين[3].

في هذه الفترة لم يبقى في البلاد الأندلسية مدينة من مدن الإسلام في يد المسلمين فقد سقطت كلّها في يد الممالك النّصرانية و لم يبقى معقل من معاقلها باستثناء آخر معاقل المسلمين بالأندلس وهو مملكة غرناطة التي بقيت تحافظ على مابقي من الحضارة العربية الإسلامية في شبه الجزيرة الأيبرية.

2- الوضع السياسي للمدن الأندلسية تحت حكم مملكة أراغون:

[1] لاردة: بالراء مكسورة، والدال المهملة، مدينة مشهورة بالأندلس شرقي قرطبة تتّصل أعمالها بأعمال طركونة منحرفة عن قرطبة إلى ناحية الجوف، ينسب إلى كورتها عدّت مدن وحصون تذكر في مواضعها، ينسب إليها جماعة منهم: أبو يحيى زكرياء إبن يحيى بن سعيد اللاردي ويعرف بإبن النّداف. ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 7. و مجهول، الحلل الموشية، ص 74.

[2] محمد عبد الله عنّان، المرجع السابق، ج5، ص 20.

[3] المرجع نفسه، ج5، ص 21، ينظر الملحق رقم : 02 ، ص 96

بعد سقوط قواعد ومدن المسلمين في الأندلس واحدة تلو الأخرى في يد الممالك النصرانية- قشتالة وغيرها- أصبح الكثير من المسلمين تحملهم ظروف العيش والبقاء في الوطن القديم تحت حكم النّصارى[1]، وتذكر الروايات أنّ ألفونسو الأوّل ملك أراغون بدأ حملة مظفّرة عبر الأراضي الخاضعة للحكم الإسلامي، وقام بأعمال تخريب ومناوشات ومضايقات من محافظة إلى أخرى على مدى ستّة أشهر متواصلة[2]، وقد طبّقت وإتّخذت ضدهم قرارات وقوانين ذات أبعاد سياسية وإقتصادية وأخرى إجتماعية وقد ركّزنا في هذا المبحث والذي يليه على الجانب السياسي في هذه الخطوات التي إتّبعتها الممالك النّصرانية – أراغون وقشتالة – لإخضاع المدن الإسلامية وتمسيحها.

وتعتبر مملكة أراغون خاصة في ظلّ حكم الملك خايمي الأوّل[3] أحد أهم الممالك النّصرانية التي لعبت دورا أساسياً في حروب الإسترداد فعملت على توسيع نطاق حكمها وسيطرتها على كامل شرق الأندلس فاحتلّت تقريباً جميع المدن الإسلامية على مستوى هذا النّطاق وبدأت في تطبيق سياسة خاصّة بشأنها.

[1] محمد عبد الله عنّان، المرجع السابق،ج5، ص 56.

[2] برنهارد والن ويشو، المرجع السابق، ص 50.

[3] خايمي الأوّل: هو الملك خايمي الأوّل إبن بيدرو الثاني صاحب مملكة قطلونية وأرغون، مات والده بيدرو في حربه ضد الكونت سيمون دي مونفور سنة 610ه/1213م وبقي خايمي رهينة تحت رحمة الكونت المذكور وتدخّل البابا أنوسنت الثالث من أجل إطلاق سراحه في العام الموالي، ولكن عمّه الطموح سانشو قام بإعتقاله في حصن مونزون وإستولى على السلطة سنة 614ه/1217م وما إن تخلص خايمي الأوّل من عمه سانشو بعد جهود مضنية حتّى برز عمّه الثاني فرناندو إلى الميدان وإستولى على السلطة وظلّت مملكة قطلونية وأرغون تعاني من الحرب الأهلية حتى عام 624ه/1226م حيث تمكّن خايمي الأوّل من توطيد دعائم حكمه في مملكة قطلونية وأرغون بعد إستسلام عمّه فرناندو وقواته وأخذ يتطلّع منذ ذلك الحين إلى الإستلاء على جزر البليار وشرق الأندلس، ينظر: يوسف أشباخ، تاريخ الدولتين في عهد المرابطين والموحدين، تر وتع، محمد عبد الله عنّان، سليمان العطار، ج2، ط2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011م ، ص ص 165-174.

وقد كانت من بين المدن التي سقطت بأيدي المملكة مدينة بلنسية التي آثر أهلها البقاء في المدينة عن مغادرتها مستفيدين من معاهدة السلام المعقودة مع خايمي الأول والتي كلّفت في بعض بنودها للمسلمين صيانة أموالهم وعقيدتهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم[1].

إلاّ أنّ خايمي تنكّر للوعود التي قطعها للمسلمين وحوّل المسجد الجامع إلى كنيسة وهاجر الكثير من المسلمين إلى ماوراء نهر شقر حفاظاً على دينهم ولغتهم وتقاليدهم وقبلوا أن يصبحوا عمالا مزارعين لدى الملاك النصارى الجدد الذين إستولوا على الأراضي عن طريق الإقطاع ومصادرة الأوقاف[2].

وعلى الرغم من حرص الملك على المصالح الإقتصادية لمملكة بلنسية والتي كان المدجّنون عمادها الرّئيسي حيث كان يمتاز هؤلاء بالكفاءة والخبرة في الجانب الزراعي وأنّ أي مضايقة من شأنها أن تنعكس سلباً على ملاك الأرض الذين يعملون لديهم، إلاّ أن ذلك لم يمنع من رضوخه للضغوطات الممارسة عليه من رجال الكنيسة للتخلي عن سياسة التّسامح التي إنتهجها اتّجاه رعاياه المسلمين، فلم يمكث طويلاً حتّى بدأ في تحويل المساجد وملكياتها إلى ملكيات الكنيسة على الرغم من إحتجاجات المسلمين فضلاً عن إستدعائه لأعداء كبيرة من المسيحيّين للإستقرار في المدينة ممّا أدى إلى حدوث صدام مباشر بين المسلمين والمسيحيين، فبدأ النّصارى في إزعاج المسلمين وإساءة التعامل معهم[3].

لم يتوقف خايمي الأوّل عند هذا الحدّ بل عمد وبمباركة الكنيسة إلى عزل المسلمين بأحياء خاصّة بهم ومصادرة أراضيهم وتوزيعها على شكل إقطاعات على المستوطنين الجدد من المسيحيين[4].

---

[1] يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 174.

[2] المرجع نفسه، ص 174، ينظر الملحق رقم : 03 ، ص 97.

[3] Davilay Collado, la expulision de los mariscos espanoles, 1889, p 21.

[4] براتشينا دون باسكوال بورنات، المورسكيون الإسبان ووقائع طردهم، تر، كترة الغالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م، ص ص 101،102، علي الكتاني ، المرجع السابق، ص 83

ثمّ أدرجت السلطة الملكيّة في أرغون التشريعات المطبّقة على المسلمين، في القانون العام للملكة الذي وضعه دون خايم، ونشره عام 1248م بعد سقوط بلنسيّة وقد سمي فـــوروم فالانتينوم و لا تختلف الخطوط العريضة للتشريعات المطبّقة على المسلمين في مملكة أراغـــون كثيرا عن مثيلاتها في مملكة قشتالة[1].

حيث أصدر في عام 1268م قانوناً حدّدَ فيه اللّجوء إلى الكنائس بثلاثة أيّام فقد الرقيق المسلم الذي يهرب من سيّده ويلجأ إلى الكنيسة طلباً للتنصّر تخلّصاً مـــن عســـف ســـيده وظلمه، كانت الكنيسة تؤويه مدّة غير محدودة لكن بعد صدور هذا القانون لم يعد يستطيع البقاء في الكنيسة أكثر من ثلاثة أيّام يعاد بعدها لسيده[2].

"وفي سنة 892ه/1283م أصدر الملك بيدرو الثالث قانوناً يسمح فيه لرعاياه المسلمين الإقامة حيثما شاؤوا في مملكته كما سمح لهم بممارسة التّجارة بحرية تامّة، لكنّه حرّم علـــيهم وظائف القضاء والشرطة والمالية، وألزمهم بأن لايقرضوا أموالاً بفائدة تزيد عن 100/20 سنوياً ويعاقب المخالف بغرامة مالية قدرها خمس دوقات ذهبية، ومنع قبول شهادة المســـلم إلاّ بشروط حدّدها، وقضى بسقوط الدّين الغير معقود أمام القضاء بعد ست سنين إذا كان المقرض مسلماً"[3].

أصدرت بعد ذلك السلطة العديد من القرارات التي تخصّ المسلمين في المـــدن الواقعـــة تحت سيطرتها إلا أن هذه القرارات لم تفرض أيّ قيود على الحرية الدينية للمجتمع المســـلم، وإنّما كانت تهدف إلى تنظيم العلاقة بين المسلمين وأسيادهم المسيحيين، وإستمرت هـــذه القرارات بالصدور طيلة القرنين الرابع عشر والخامس عشر[4].

[1] محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 29.

[2] المرجع نفسه، ص ص 30،29

[3] علي الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، ص 85.

[4] أسعد حومد، المرجع السابق، ص ص 210-212.

كرد فعل طبيعي على هذه السياسات الغاشمة قام الرعايا المسلمون في هذه المدن بثورة ضد أرغون والتي سنأتي على ذكرها في المبحث الأخير- ممّا جعل لملك خايمي الأوّل وبفعل الضغط الممارس عليه من طرف الكنيسة ممثلة في البابا كليمانت الرابع من خلال تحريضه على إبادة المسلمين، لكنه وجد نفسه عاجزا أمام تلبية مطالب البابا المتمثّلة في طرد كلّ المسلمين من مدن المملكة نظرا لأهمية هؤلاء بالنسبة لإقتصاد الدّولة[1].

قرر خايمي الأول عدم الرضوخ لمطالب الكنيسة المطالبة بإبادة المسلمين الموجودين في مملكته، لكنه قام بفعل إجرامي وهو رفع الحماية على المسلمين من قبل الدولة[2]، "فأصبح المسلمون بذلك عرضة لهجوم الجنود النظاميين لأخذ أبنائهم وبناتهم وبيعهم كعبيد [3].

[1] أسعد حومد، المرجع السابق، ص 204.

[2] علي الكتاني، المرجع السابق، ص 84.

[3] المرجع نفسه، ص 84.

3- الوضع السياسي للمدن الأندلسية إبان الحكم القشتالي:

بعد أن تغيّرت أحوال الممالك المسيحيّة في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي وأصبحت ظروفها متفاوتة تفاوتا واضحاً من حيث القوّة الحربية[1]، أصبحت مملكة قشتالة من الممالك التي لعبت دوراً هاماً ومحورياً في حروب الإسترداد فقد كانت الفاعل الأساسي في كلّ الحروب التي خاضها النّصارى ضد المسلمين في الأندلس، ونظرا إلى جهودها الكبيرة في إسترجاع المدن من المسلمين فقد دخل في عهدها وتحت حكمها الكثير من المدن الأندلسية بدءاً بطليطلة.

و لم تكن في الحقيقة السياسة المتبعة في المدن التي تسقط بيدها تختلف كثيراً عن نظيرتها في أرغون مع إختلافات بسيطة، فقد كان التنكر للعهود والمواثيق السمة الأساسية في كلّ مرّة تسقط فيها مدينة أندلسية ما.

فقد نصّت وثيقة إستسلام طليطلة على ضمان حرية إنتقال المسلمين الراغبين في مغادرة المدينة، كما نصّت على حماية أرواح من يرغب في البقاء وأموالهم وممتلكاتهم، بما في ذلك ملكيّة المساجد، ونصّت فقط على أن يتمّ تسليم الأماكن الحصينة للمسيحين[2].

إلاّ أن هذه الشروط لم تنفذ من الناحية العمليّة، ففي أعقاب الغزوة المسيحيّة تمّ تعيين راهب من دير كلوني من أساقفة طليطلة وكان هذا القس ممن شاركوا في مجمع كليرمونت الدّيني، حيث نذر بأن يشارك في الحروب الصليبية في الأراضي المقدسة، ثمّ أعفاه البابا من الوفاء بنذره لكي يشارك في الحرب ضدّ المسلمين في شبه الجزيرة الأيبيريّة، ولّما كان هذا الأسقف من المقربين إلى الملكة تحيّن فرصة غياب الملك، وقام بمصادرة المسجد الكبير في طليطلة عام 1102م، وحوّله إلى كاتدرائيّة- إضافة إلى الموافقة على إمتيازات القشتاليين والفرنسيين عام 1118م،- بادرة إنتكاسة للاّئحة القانونية الخاصة بالمدجنين القشتاليين فقد

[1] حمدي عبد المنعم، المرجع السابق ، ص 155.

[2] مرثيدس غارسيا أرنيال، شتات أهل الأندلس، تر، محمد فكري عبد السميع، مرا، جمال عبد الرحمن، ط1، المجلس الأعلى للثّقافة، القاهرة 2006م، ص 75.

أرغم المسلمين على مغادرة المدينة تدريجياً على مدى جيلين فاتّجه كثير منهم إلى مناطق شمال قشتالة وإعتنق الآخرون المسيحيّة ثمّ إندمجوا مع سكان طليطلة من المستعربين[1].

عند سقوط قرطبة بيد النّصارى كانت سيرتهم فيها كسيرة المدن الاخرى حيث وضعوا صلبانهم فوق منارات المساجد، وبعدها ذهب المسلمون اليائسون من قرطبة بعد سقوطها، وإتّخذوا ملاجئ لهم في مدن مختلفة في الأندلس وقسّم النّصارى منازلهم وإرث أهل قرطبة فيما بينهم، أمّا الحصون والبلدات فقد وضعت مع إستسلام العاصمة تحت ولاء وحماية الملك فرناندو وكونها غير قادرة على الدّفاع عن ذاتها كان من ضمن تلك المدن بيّاسة وأسطابة وإستجّة والمدبر وغيرها من البلدات التي أصبح سكانها أتباعاً لملك الصليبين[2].

عند دخول القشتاليين إشبيليّة صلحاً مع أهلها قاموا بطمس كل المعالم الإسلامية بالمدينة وحوّلوا المساجد إلى كنائس من فورهم ونجد إشارة لذلك عند الرعيني في ترجمته لأبي الحسن علي بن جابر بن علي اللخمي العروف بالدّباج أنه توفي: " بعد دخول بلد الروم صلحا بنحو ثمانية أيّام هاله نطق النواقيس وساءه خرس الأذان، فمازال يتأسف ويضطرب إرتماضاً لذلك إلى أن قضى "[3].

لم تكن حالة المسلمين في قشتالة أحسن حالاً من حالة إخوانهم في أراغون، فقد خرق ملوك قشتالة معاهدات الإستسلام خرقاً واضحاً، وعاملوا المسلمين معاملة جائرة ظالمة بعيدة عن الروح الإنسانية والأخلاق، ووضع الملك ألفونسو العاشر المعروف بالحكيم في عام 1258م قانوناً عامّاً للمملكة بإسم لاس سيت بارتيداس أو الأقسام السبعة ضمنه الأحكام القوطية والأحكام والشرائع التي اعترف بها أجداده وكثيراً من الحقوق الكنسيّة والرومانيّة،

[1] مرثيدس غارسيا أرنيال، المرجع السابق، ص 76، ينظر: الملحق رقم : 04 ، ص 98

[2] خوسيه أنطونيو كنده، المرجع السابق، ص ص 150-153.

[3] الرعيني، برنامج شيوخ الرعيني، تح، إبراهيم شبوح، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1962م، ص 89، ينظر : الملحق : رقم 05، ص 99

وقد أعتبر هذا القانون تشريعاً عامّا للملكة عام 1348م، ولكنه طبّق منذ 1258م وقد تضمّن هذا القانون التشريعات المختلفة التي تطبّق على المسلمين المقيمين في قشتالة[1].

ومن اهم ماجاء به هذا القانون في بعده السياسي البند المتعلّق بعقوبة المرتد عن النّصرانية بعد إعتناقها فقد كان يحكم عليه بالموت ويفقد أهليته للإرث والشهادة والوصيّة والتملّك وإقامة الدعوى، كما نصّ القانون على جواز ملاحقة المرتد خلال خمس سنوات من وفاته، للحصول على حكم بمصادرة أمواله وممتلكاته[2].

ولاينقذ المرتد من العقاب والمصادرة، إلاّ تقديم خدمة جليلة للدولة كتقديم بعض الأسرار الهامة فمصلحة الدولة وحكمتها تأتيان قبل كل شيء[3].

كما كانت الأحياء الإسلامية في قشتالة تتركّز بصورة تكاد تكون عامّة في النقاط العمرانية المهمّة، حيث كان يسهل على أيّ مهني مدجّن أن يستوطن، بل كان يحظى بموافقة المجالس المحلية ولعل أكثر الحالات توثيقاً مايتعلق بمدينة أبيلا التي ضمّت بين سكانها أهم تجمع سكاني من المسلمين في مناطق شمالي قشتالة، حيث كانت تضمّ حياً يهودياً يستوعب نحو ألفي يهودي، ونحو ألف وثلاثمئة مسلم، بينما لايكاد يتجاوز ثلاثة آلاف نسمة[4].

لقد كان لهاتين الفئتين السابقتي الذكر تسديد ضريبة سنوية وضريبة المنفعة ونصف المنفعة، أمّا الضريبة السنوية أو الأساسية فهي عبارة عن مبلغ سنوي يلتزم كل مسلم ويهودي بتسديده تعبيراً عن الإعتراف بالسيادة الملكية، وبالحماية الخاصة التي يكلّفها لهم الملك، أمّا ضريبة المنفعة ونصف المنفعة فكان توزيعها كسابقتها طبقاً للوائح والإجرائات الضريبية وكانت عبارة عن مبالغ غير عادية وإنتهى بهم الأمر إلى تحويلها إلى ضريبة سنوية[5].

---

[1] محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص ص 35،36.

[2] المرجع نفسه، ص 36.

[3] محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 36.

[4] مرثيدس غارسيا أرنيال، المرجع السابق، ص 78.

[5] المرجع نفسه، ص 78.

ويتبيّن من التقسيم الضريبي خلال الفترة الممتدّة مابين 1293-1294م أنّ المسلمين تحملوا مبالغ كبيرة سددت للأبرشيات في كل من بورغوس و فالنسيا وأبيلا و سيغوبيا، وهذا مايعكس وجود عدد كبير للأحياء التي يقطنها المسلمون[1].

[1] مرثيدس غارسيا أرنيال، المرجع السابق ، ص ص 78،79.

4- ردود فعل الأقليات المسلمة إزاء السياسة النصرانية :

إنّ السياسة النصرانية المتبعة بالمدن الإسلامية الواقعة تحت سيطرتها والتي كانت تغذيها مشاعر الكراهية والتعصب الديني بالإضافة للضغوط الكنسية لإبادة المسلمين وطردهم، جعلت الجالية المسلمة بهاته المدن أمام خيارين: الهجرة أو إعلان التمرد والثورة ولّما كان الخيار الأول صعباً، وجدوا أنفسهم أمام حتمية الثورة للمطالبة بالحقوق فثار المسلمون ثورتهم الأولى عام 1254م بمدينة بلنسية.

تزعم هذه الثورة رجل يدعى الأزرق وإستولى الثوار على عدد من الحصون والقلاع الواقعة بين شاطبة[1] ولقنت[2]، وسيطروا على المنطقة الجبيلية الواقعة جنوب نهر(شقر)، وبقيت هذه الثورة محصورة بهذه المنطقة فقط، ولكنها سرعان ما إمتدّت إلى المناطق الأخرى فتوجّه خايمي على رأس جيش إلى بلنسية وعقد فيها إجتماع لمجلس النواب (الكورتس)، وقرر هذا الإجتماع إتّخاذ قرارات حازمة اتّجاه المتمردين من المسلمين ولعلّ أبرز هذه القرارات هو طردهم من مملكة بلنسية واحلال النّصارى محلّهم، بعد أن سمح لهم أن يحملوا معهم مايستطيعون حمله من أموالهم وأمتعتهم[3].

أثار هذا القرار حفيظة المسلمين ممّا أدى إلى إتّساع نطاق الثورة لتشمل جميع مملكة بلنسية، وإنضمّ إليه عدد كبير من المدجّنين بلغ تعدادهم أكثر من ستسن ألفاً، ويشير

---

[1] شاطبة: بالطاء المهملة، والباء الموحدة، مدينة في شرقي الأندلس وشرقي قرطبة، وهي مدينة كبيرة قديمة، قد خرج منها خلق من الفضلاء، ويعمل الكاغد الجيّد فيها ويحمل منها إلى سائر بلاد الأندلس، يجوز أن يقال إنّ إشتقاقها من الشّطبة وهي السعفة الخضراء الرطبة، وممّن ينسب إلى شاطبة عبد العزيز بن عبد الله بن ثعلبة أبو محمد السعدي الأندلسي الشاطبي. ينظر: الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج3، 309.

[2] لقنت: من بلاد الأندلس، وبينها وبين دانية على الساحل سبعون ميلاً، وهي مدينة صغيرة عامرة، وبها سوق ومسجد عامر ومنبر ويتجهز منها بالحلفاء إلى جميع بلاد البحر، وبها فواكه وبقل كثير وتين وأعناب، ولها قصبة منيعة جداً في أعلى جبل يصعد إليه بمشقّة وتعب، وهي على صغرها تنشأ بها المراكب السفرية والحراريق، ومن لقنت إلى ألش في البر مرحلة. ينظر: الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص 511. و الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 21.

[3] علي الكتاني، المرجع السابق، ص 83.

براتشينا إلى أنّ هذه الثورة تلقت الدعم من أمراء غرناطة والمغرب[1]، لكن مسلمي مدينة بلنسية و ضواحيها فضلوا التروح إلى مرسية على الثورة ، وبذلك خرج الآلاف من المسلمين من آراضي بلنسية فقصدوا مدينة مرسية وأعمالها وتفرقوا بها، وذهبت مجموعة أخرى منهم إلى غرناطة، وإشتدَّ ساعد مملكة مرسية بمن وفد إليها من هذه الجموع المهاجرة، وإستطاعت أن تفرض إحترام إستقلالها الداخلي على النّصارى مرة أخرى[2].

أمّا بالنسبة لقائد الثورة الأزرق فقد تابع نضاله في المناطق الجبلية وقد إستمرت ثورته لأكثر من ثلاث سنوات، أرهق خلالها خايمي الأوّل، ممّا إضطر الأخير إلى اللجوء إلى الحيلة لتشتيت شمل الثوار، فإتّصل ببعضهم وعرض عليهم عقد هدنة مؤقتة، ثمّ أغرى بعد ذلك أحد قادة الأزرق بالمال وطلب منه أن يبيع له كميات من المؤن المدّخرة في القلاع الثائرة، على إعتبار الهدنة تمتد إلى مابعد موسم المحاصيل[3]، ومن الممكن تعويض هذه المؤن حينما تنزل المحاصيل الجديدة، فباع الأخير كمية كبيرة من المؤن المدخرة في قلاعه، ولمّا تأكد خايمي من قلة المؤن الموجودة في الحصون قام بمهاجمة الحصون التي قلت مؤونتها [4] وبذلك أسدل الستار على أوّل ثورة قام بها المدجنون للمطالبة بحقوقهم المصادرة من قبل الممالك النّصرانية بعد أن شاهدوا أمام أعينهم السياسة المتسامحة التي إنتهجتها الدول العربية الإسلامية اتجاه أهل الذمّة القاطنين في مملكة بلنسية خلال حقبة الحكم الإسلامي لهذه المنطقة.

بعد انتهاء الثورة إشترط البابا كليمانت الرابع على الملك خايمي الأوّل أن يقوم بإبادة المسلمين في مملكته مقابل التنازل عن حصته من الضرائب المسماة بالعشر، فقبل بذلك خايمي

[1] براتشينا، المرجع السابق، ص 101.

[2] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج4، ص 461

[3] أسعد حومد، المرجع السابق، ص 260

[4] المرجع نفسه، ص 261.

الأوّل[1]، لكنه وجد صعوبة في تنفيذ وعوده بفعل معارضة النبلاء الذين كانوا يرون في طرد المسلمين و القضاء عليهم خرابا لهم و بوارا لأرضهم و ضررا بالحياة الإقتصادية في المملكة ، لأنه يحرمها من اليد العاملة النشيطة المتخصصة[2]

و لقد كان الملك يرى رأي الكنيسة في القضاء على العنصر العربي ، لكنه كان يريد تحقيق ذلك بالتدريج و ذلك لأسباب كثيرة منها :

- أنه كان يصطدم بمعارضة النبلاء و أمراء الإقطاع .

- لأنه كانت هناك أراض اسلامية كثيرة لم تفتتح بعد و كان هناك تنافس و تسابق بين مملكتي اراغون و قشتالة على الفوز بالإستيلاء عليها وكان الجانبان يريان أن حسن معاملتهما للمسلمين الذين وقعوا تحت أيديهما مما ييسر مهمتهما و يحمل المناطق الإسلامية الأخرى على أن تفضل الإستسلام لأحسن الجانبين معاملة للمسلمين ، إذا ما اضطروا للإستسلام في يوم من الأيام [3].

إن الضغط الممارس من قبل الكنيسة على الملك جعله يتوصل الى حل اجرامي وهو رفع حماية الدولة عن المسلمين نهائيا ، مما فتح المجال أمام العصابات لسلب أملاك المسلمين و الإعتداء عليهم[4]

اتّجاه هذا الوضع الغريب والظلم الذي لم يشهد له التاريخ مثيلاً تعالت شكاوي المسلمين للملك خايمي يطلبون منه وضع حد لتجاوزات هذه العصابات، فلم يفعل بشأنها شيئا ، وإكتفى خايمي بأن سمح لهم بأخذ الأودية والسهول التي يعيشون فيها والإستقرار حول الحصون و القلاع في الأماكن المرتفعة [5].

---

[1] علي الكتاني، المرجع السابق، ص 84.

[2] أسعد حومد، المرجع السابق ، ص 204.

[3] المرجع نفسه، ص 204.

[4] علي الكتاني، المرجع السابق ، ص 84

[5] أسعد حومد، المرجع السابق، ص 207.

إزاء هذا الوضع المزري الذي أصاب المدجّنين في مدينة بلنسية لقرروا الثورة على هـــذا الظلم الصارخ و انطلقوا في أذار 1279م يحتلون أربعين حصنا دفعة واحدة في جنوبي نهـــر شقر ، و تزايد لهيب الثورة ، و مدت غرناطة يد العون للثوار فأتعبوا حكومة أراغون .[1]

عامل خايمي أولا الثوار بالحيلة ، إذ هادن الحصون التي لا ترفع علم غرناطة ، و حاب الحصون الأخرى و بهذا شجع النزاعات الداخلية بين المسلمين ثم حاصر الملك خايمي مدينة شاطبة عاصمة الثوار ، فاختار الثوار رئيسا لهم الأزرق مرة ثانية و لما استشهد أمام حصـــن الكيل تسلم ابنه القيادة فاستشهد بدوره . ورغم ذلك لم يستطع النصارى احتلال شاطبةو نجح الثوار في تحرير حصن الكيل[2]

في هذه الأثناء توفي خايمي الأوّل فأوصى إبنه وخليفته بيدرو الثالث بطرد المسلمين من بلنسية[3]، وبذلك يقول براتشينا (حينما كان الملك خايمي مريضاً على فراش الموت كلّـــف إبنه بيدرو بالخروج إلى المسلمين ومحاربيتهم)[4].

لم يقم بيدرو بما أوصاه به أباه من متابعة الحرب مع الثائرين ، و إنما فضل مفاوضـــتهم لكسب الوقت و أخيرا تمكن من التغلب عليهم بالحيلة إلا أنه لم يطردهم من المملكة ، و إنما اكتفى بنزع سلاحهم و توزيعهم على مناطق المملكة لإعمارها[5].

ويشير براتشينا إلى أنّ بيدرو عمد إلى تنصير من تبقى من المسلمين في المدينة و أوكـــل المهمة إلى أخوان دي بويربينتوس الذي كان يتقن اللغة العربية و يعلمها في المعابد و الأديرة ببلنسية ليسهل عملية التنصير و التعريف بالدين الكاثوليكي ووعدهم مقابل إعتناق الـــدّين المسيحي بإعطائهم إمتيازات خاصّة[6].

---

[1] أسعد حومد، المرجع السابق ، ص 207

[2] علي الكتاني، المرجع السابق، ص 84.

[3] المرجع نفسه، ص ص 84،85.

[4] براتشينا، المرجع السابق، ص 101.

[5] أسعد حومد، المرجع السابق، ص 208.

[6] براتشينا، المرجع السابق، ص ص 101،102.

لم يكن رعايا مملكة أراغون من المسلمين الوحيدين الذين أعلنوا التمرّد والثورة في وجه الظلم والطغيان بل كان المسلمون الذين يعيشون بالمدن الواقعة تحت السيطرة القشتالية نصيب من ذلك فقد أعلنوا ثورتهم سنة 1261م.

وانقضوا على جميع الحصون الممتدّة بين شريش[1] غرباً ومرسية شرقاً، ورفعوا علم مملكة غرناطة واعلنوا انضمامهم لهان وساند إبن الأحمر هذه الثورة بادئ الأمر، كان ألفونسو العاشر في شقوبية[2]، فطلب من ابن الأحمر مساعدته على القضاء على الثورة حسب الإتّفاق الذي بينهما، فاعتذر، وسانده خايمي الأوّل ملك أرغون وضرب ملك قشتالة الحصار على شريش في مايو سنة 1264م، فاستسلمت بعد ستة شهور و طرد أهلها.

ثمّ إحتلّ ألفونسو من جديد شلوقة[3] وشذونة والبربجة و أركش وأخيراً قادس سنة 1266م، وإحتلّ ملك أراغون لقنت سنة 1263م، ثمّ قرطاجنّة[4]، ثمّ فرض الحصار على

---

[1] شريش: من كور شذونة، بينها وبين قشتالة خمسة وعشرون ميلاً، وهي على مقربة من البحر، يجود زرعها ويكثر ريعها، وبين المغرب والقبلة من شريش حصن روطة على شاطئ البحر، بينهما ستة أميال، وبروطة هذه بئر خصّصت بماء لايعلم مثله في بقعة، وهي بئر أولية قديمة البنية، يترل المرء المرء فيستقي الماء بيده حيث إنتهى من البئر باليد دون معاناة ولامشقّة، فإذا قلّ النّاس بها وتفرّقوا نضب الماء حتّى يكون بآخر درك. ينظر: الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص 340. و الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 340.

[2] شقوبية: بالأندلس هذه ليست بمدينة إنّما هي قرى كثيرة متجاورة متقاربة متلاصقة متداخلة العمارات، فيها بشر كثير وجمٌّ غفير، وهم في نظر صاحب طليطلة، وهم انجاد أجلاد، ومنهاإلى طليطلة مائة ميل. ينظر: الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص 350.

[3] شلوقة: حصن بقرب سرقسطة من الاندلس، ينسب إليه علي بن إسماعيل بن سعيد بن أحمد بن لب بن حزم الخزرجي، قرأ على إبن عطيّة الغرناطي الحديث والنحو على إبن طراوة المالقي، وأبوه أيضاً مقرئٌ نحويٌّ لقيهما السلفي وكتب عنهما. ينظر: الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج3، ص 359.

[4] قرطاجنّة: بالفتح ثمّ السكون، وطاء مهملة، وجيم، ونون مشدّدة، وقيل: وقيل إنّ إسم هذه المدينة قرطاً وأضيف إليها جنّة لطيبها ونزهتها وحسنتها: بلد قديم من نواحي إفريقيّة، قال بطليموس في كتاب الملحمة: طولها أربع وثلاثون درجة، وعرضها خمس وثلاثون درجة تحت إحدى عشرة درجة من السرطان، يقابلها مثلها من الجدي، بيت ملكها مثلها من الحمل، بيت عاقبتها مثلها من الميزان، لها ثلاثون درجات من الدلو، بيت حياتها خمس عشرة من السنبلة، كانت مدينة عظيمة شامخة البناء أسوارها من الرّخام الأبيض وبها من العُمد الرخام المتنوع الألوان مالا يحصى ولايحد.ينظر: الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج4، ص 323.

ألميرية مع جيش قشتالي برئاسة إبن ملك قشتالة، فاستسلمت المدينة في 1266/02/13م. وفي 1266/6/5م فرق ملك قشتالة بين مسلمي ونصارى مرسية وبنى بينهما سوراً، وكان الحي الإسلامي يسمى الرشاقة،" وبقيت إدارته بين بني هود المسلمين إلى سنة 1308م حيث إنتقلت الإدارة إلى يد القشتاليين[1].

ثمّ توالت القرارات التي تحدّ من حقوق المسلمين، وكلّ ملك تولى الحكم يشرع تشريعات جديدة ضد المسلمين.

[1] علي الكتاني، المرجع السابق، ص 79.

من خلال ماسبق و بعد التطرق للأوضاع السياسية للمدن الإسلامية في ظل حكم الممالك النصرانية يتبين لنا أن النصارى قد تفانوا في محاولة محو كل مايرمز للفترة الإسلامية بهذه المدن، من خلال اتخاذ مجموعة من التدابير و الإجرءات و سن ترسانة من القوانين و الشرائع بغية احكام السيطرة عليها و اخضاعها في ظل وجود أقليات مسلمة تعيش تحت سلطانها حيث وجدت هذه الأخيرة نفسها أمام حتمية الثورة على هذه السياسة المجحفة في حقها ، فقامت ثورات في مختلف المدن الأندلسية تبتغي من وراءها استرجاع حقوقها و كرامتها بل و استرداد المدن نفسها ، و كادت أن تنجح في مبتغاها لولا تخاذل أمراء الأندلس على نصرتها و انشغالهم بالتناحر و الإقتتال فيما بينهم لحساب عدوهم ، مما أدى الى فشل الثورة و اجهاضها الأمر الذي انعكس سلبا على الأوضاع العامة بهذه المدن حيث ضاعفت السلطات النصرانية من اجراءتها و قوانينها التي تحد من حقوق المسلمين و تحرمهم من امتيازاتهم.

I. الفصل الثاني : جوانب من الحياة الاجتماعية للمسلمين في الأندلس في ظل السيطرة النصرانية .

1- المسلمون المدجّنون بالأندلس.

2- أحوال المدجّنين في ظلّ حكم النّصارى وأهم القوانين الخاصّة بهم.

3- مناحي الحياة الدينية للمسلمين المدجّنين على عهد الممالك النصرانية

4- جوانب من المهن والصنائع لدى المدجنين.

5- ذروة إضطهاد مسلمي الأندلس.

شهدت شبه الجزيرة الأيبيرية منذ أن قام بفتحها العرب أيام الخلافة الأموية في عهد موسى بن نصير وطارق بن زياد حتى سقوط الدولة العامرية بفعل الفتنة القرطبية، فترات متفاوتة من القوة، مكنت الدولة الإسلامية من فرض هيمنتها على الأندلس برمتها تقريبا باستثناء ثغرات تركت في المناطق الشمالية، لتصبح بمرور الوقت هذه الثغرات التي أغفلها الفتح العربي الإسلامي تشكل تهديدا على المسلمين بتوالي السنين، إلا أن استطاعت بالفعل أن تقوم بفرض هيمنتها على البلاد الإسلامية بالأندلس بداية من القرن الخامس هجري /الحادي عشر ميلادي، لتتغير بذلك الوقائع والأحداث السياسية بها بعد أن خرجت من الحكم الإسلام لتصبح في ظل الهيمنة النصرانية.

وبعد أن هيمنة الممالك النصرانية على المدن والقواعد والثغور الأندلسية، آثر بعض الأقليات المسلمة البقاء تحت حكمهم على الهجرة إلى ديار المسلمين، ليدخلوا بذلك حياة جديدة لم يألفوا العيش فيها تحت حكم غير إسلامي، لتتغير بذلك أوضاعهم الإجتماعية بفعل تغير السياسة المنتهجة من قبل النصارى في المدن التي تمت السيطرة عليها، وهذا ماسنستشفه في هذا الفصل من خلال دراسة أهم الأوضاع الإجتماعية للمسلمين في الأندلس في ظل السيطرة النصرانية.

1- المسلمون المدجّنون بالأندلس :

أدّت الأحداث السياسية التي عاشتها شبه الجزيرة الأيبيرية إلى تغير الأوضاع الإجتماعية لدى المسلمين الأندلسيين، فكلّما سيطر النّصارى على أراضٍ إسلاميّة جديدة من أراضي الأمّة الأندلسية هاجرت الطبقة المثقّفة وأهل الصّناعة والحرف إلى باقي المدن الإسلامية التي لم تسقط ولاتزال تحت حكم الإسلام، أي غرناطة وأرضها، وبقي عامّة الشعب في البلاد، منهم من أجبر على التنصير ومنهم من بقي على دينه وهم كثر[1].

وعلى إثر سقوط المدن والقواعد والثغور الأندلسية في أيدي النّصارى كثر عدد الرعايا المسلمين الذين احتوتهم الممالك النّصرانية، فقد سقطت منها في الشرق، بلنسية[2] بعد تمكّن النّصارى منها[3]والواقعة بين مملكتي مرسية وطرطوشة[4] بالإضافة إلى مدينة شاطبة ودانية، ولقنت، وأريولة، ثمّ مدينة مرسية، وسقطت في الوسط مدينتا قرطبة وجيّان، وسقطت في الغرب مدينة ماردة ومدينة بطليوس، وقرمونة، ولبلة[5] والتي تقع غرب قرطبة[6]، ومابين الجنوب والمغرب لشبه الجزيرة الأيبيرية نجد مدينة طليطلة قاعدة الثغر الأدنى[7] و مدينة كونكة، وأقليج، وطلبيرة، ومكادّة، ومدينة مشريط، ووبذة، و مدينة أبلة، وشقوبية[8]، بالإضافة إلى مدينة ميورقة والتي تغلّب عليها النّصارى في 07 ذي القعدة من سنة 508ه/

---

[1] علي منتصر الكتاني، المرجع السابق، ص 37.

[2] محمـــد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج5، ص 56.

[3] أبو عبد الله بن عسكر، أبي بكر بن خمسين، أعلام مالقة، تق و تع، عبد الله المرابط الترغي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م، ص 337.

[4] ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تح و تع، شوقي ضيف، ج2، ط4، دار المعرف، القاهرة، 1955م، ص 295.

[5] محـــمد عبد الله عنّان، المرجع السابق، ج5، ص 56.

[6] مجهول، تاريخ الأندلس، المصدر السابق، ص 109.

[7] الثغر الأدنى: وهو الخط الذي يلي الدويرة جنوبا ويمتد على وادي التاجو Tago الذي يصب في المحيط الأطلسي غربا، وقاعدته مدينة طليطلة Toledo وكان يواجه مملكة ليون والجلالقة في شمال غرب اسبانيا. ينظر: أحمد مختار العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، المرجع السابق، ص 14.

[8] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 264.

03 أفريل سنة 1115م، لتسقط كلّ هذه القواعد الأندلسيّة في أيدي النّصارى وأصبحت تحت حكمهم وسيطرتهم فكثر بذلك المسلمين الذين آثروا البقاء تحت حكم الممالك النّصرانية على الهجرة إلى ديار الإسلام[1].

وكانت كلّما سقطت قاعدة من قواعد الأمّة الأندلسيّة الشهيرة، في يد عدوّها من الممالك النّصرانية، ألفت عزائها في قواعدها الأخرى ليهاجر أغلبية السكان المسلمين إلى تلك القواعد الإسلاميّة الباقية[2]، فكان كثير من الأسر المسلمة والعريقة والمحافظة على دينها قد آثرت الهجرة إلى المدن الجنوبية وإلى أرض الإسلام في العدوة المغربية، وإلى مملكة غرناطة آخر معاقل المسلمين بالأندلس[3] والتي كانت تضم ثلاث ولايات كبيرة شكّلت غرناطة محورها الأساسي في الوسط، وولاية مالقة[4]، وولاية ألميرية[5]، "على التدجّن والبقاء تحت سلطان النّصارى، إستبقاءاً لحرياتهم ودينهم وكراماتهم، حتّى لم يبقى من تلك القواعد الشهيرة سوى غرناطة وأعمالها، حيث عاشت مملكة غرناطة بعد سقوط المدن الأندلسيّة رافعة لواء الإسلام وحضارة المسلمين العظيمة التي حفلت بأرقى نظم الحياة المادية والأدبية، وأرفع ضروب العلوم والفنون التي عرفت في العصور الوسطى"[6].

لّما إستولت الممالك النّصرانية على القواعد والثّغور وبدأت تأخذ منحنى تصاعدي في توسيع أراضيها على حساب أراضي المسلمين[7]، بقيت أعداد معتبرة من المسلمين الذين دعتهم الظروف المتفاوتة على البقاء في الوطن القديم تحت حكم النّصارى، وأولئك هم

---

[1] ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص 123.

[2] محمّد عبد الله عنّان، المرجع السابق، ج5، ص 17.

[3] حسين يوسف، المسلمون المدجنون في الأندلس، ط1، مطبعة الحسين الإسلامية، الأزهر، 1993م، ص 9.

[4] مالقة: مدينة على شاطئ البحر المتوسط. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح و تع، بشار عواد معروف، محمد بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م، ص 49. و مؤلف مجهول، الحلل الموشيّة، المصدر السابق، ص 52.

[5] محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 13.

[6] محمّد عبد الله عنّان، المرجع السابق، ج5، ص ص 17-24.

[7] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص 312.

المدجّنون ويعرفون بلغتهم Mudejares أو أهل الدّجن، و يعدُّ أوّل بدايات ظهور هذا المصطلح أوائل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، منذ أن كثر إستيلاء النّصارى على أراضي المسلمين بعد موقعة العقاب التي هزم فيها المسلمون[1]، لتقوم الممالك النّصرانيّة بتخصيص أحياء لهم في أكثر من 100 مدينة اعتبروا فيها مواطنين من الدّرجة الثانية[2].

وهؤلاء الباقون الذين تدجّنوا في المدن الإسلامية الواقعة تحت السيطرة النّصرانيّة كقرطبة وطرويل، وماردة، ومدينة بلنسية، ودانية ومرسية[3] وجيّان وإشبيلية ثمّ غرناطة بعد إستسلامها إلى أن خيروا بين دخول الدّيانة النّصرانية أو الرّحيل، بموجب مرسوم الملكة الكاثوليكية إيزابيلا الذي صدر في فبراير سنة1502م[4]، في حين أن البعض منهم فظّلوا الموت كأندلسيين على أن يرتدّوا ويبدّلوا دينهم، ووافق البعض الآخر أمام ما اعتبروه أمرا حتميا على التعميد إعتقادا منهم أنهم سوف يعيشون دون تعرّض الدّولة النّصرانية إليهم[5].

1-1- أسباب بقاء المدجّنين في الأندلس :

إثر الحروب النّصرانية التي اجتاحت الأراضي الإسلامية بشبه الجزيرة الأيبيرية، كان الهدف الأساسي منها محاربة الإسلام بشتّى الطرق الممكنة من أجل تعميم الدّيانة النّصرانية، وفي هذا السبيل سمح للمسلمين المدجّنين بالبقاء كعناصر يعيشون تحت حكم الممالك النّصرانية في جماعات من أجل مصلحتهم الشخصية والتي تعود على الدّولة بالفائدة عليها

[1] محمّد عبد الله عنّان، المرجع السابق، ج5، ص 56.

[2] حسين يوسف، المرجع السابق، ص 10.

[3] مرسية: (Murcia) بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم سنة216ه لاتبعد إلا يسيرا عن شاطئ المتوسط شمال قرطاجنة تبعد عنها ب 48كم. ينظر: ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، تح، عبد الهادي التازي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م، ص 65. و مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 67.

[4] حسين يوسف، المرجع السابق، ص 12.

[5] ماثيو كار، المرجع السابق، ص 160.

خاصّة من الناحية الإقتصادية، لكنهم لم يغفلوا محاربة عقيدتهم الإسلاميّة اللّغة العربية ومايتّصل بهم بشتّى الطرق والوسائل[1].

1. "من بين الأساب الداعية لبقاء المدجّنين في البلاد النّصرانية والتي وصلت إلى ثلاثة قرون، هو الكيان السّياسي القوي والمتمثّل في مملكة غرناطة، ممّا جعل الممالك النّصرانية وحلفائهم يتفادون ولو إلى حين عملية الطّرد خوفا من عمليّة الإنتقام التي قد يقوم بها المسلمون تجاه النّصارى في غرناطة أو بلاد المغرب ومصر وتركيا"[2].
2. العلاقة بين المدجّنين والنّصارى والمتمثلة في المصاهرة بينهما في شتى القواعد والثغور[3] الأندلسيّة التي سقطت ليكثر بينهم الزّواج[4].
3. خوفهم من عملية الطرد المباشر الذي قد يسبّب لهم ثورات مناهضة ومندّدة بالمصير المحتّم عليهم العيش فيه، فقرّروا الإبقاء عليهم.
4. رأى النّصارى أنّ بقاء المدجّنين في مناطقهم سوف ينتهي بهم في نهاية المطاف إلى التعوّد على العيش في أوساط المجتمع النّصراني بطول الزّمن وبإستخدام شتّى الوسائل[5].

---

[1] حسين يوسف، المرجع السابق، ص 12.

[2] حسين يوسف، المرجع السابق، ص 13.

[3] الثّغر: من البلاد الموضع الذي يخاف منه هجوم العدوّ فهو كالثّلمة في الحائط يخاف هجوم السارق منها والجمع ثغور، بعضهم يقول إذا نبتت أسنان الصّبي قيل إثّغر بالتشديد وقال أبو زيد ثغر الصّبي بالبناء للمفعول (يثغر) (ثغرا)، وهو (مثغور) إذا سقط ثغره ولاتقول بنو كلاب للصّبي (إثّغر) بالتشديد بل يقولون للبهيمة (إثّغرت) : وقال أبو الصّقر (إثّغر) الصّبي بالتشديد و بالثّاء والتّاء وقال في كفاية المتحفّض إذا سقطت أسنان الصّبي قيل (ثغر) فإذا نبتت قيل (إثّغر) و (إتّغر) بالتّاء والثّاء مع التّشديد، (ثُغْرَةُ)، النّحر الهزمة في وسطه والجمع (ثُغَرٌ) مثل غرفة وغرف. ينظر: الفيّومي أحمد بن علي ، المصباح المنير، تح، عبد العظيم الشّنّاوي، ط2، دار المعارف، القاهرة، دس، ص 82.

[4] محمّد عبد الله عنّان، المرجع السابق، ج5، ص 199.

[5] حسين يوسف، المرجع السابق، ص 13.

5. المصلحة الاقتصادية بالنسبة للمالك النّصرانية حيث كان الكثير من المسلمين يشتغلون في المهن والأعمال التي يأنف منها النّصارى، ولايحبّونها ، كالزراعة والحرف الصناعية والمعمارية والتجارة والخدمة، فكان المسلمون في هذه المجالات يتمتّعون بالخبرة والكفاءة اللازمة في ذلك، إذ كانوا ذا دأب[1]، و إخراجهم وطردهم منها سيحدث فجوة هائلة وخسارة فادحة في المجال الإقتصادي للمالك النّصرانية في شبه الجزيرة الأيبيرية[2].

6. حاجة الممالك النّصرانية للمسلمين المدجّنين في العمران فقد عرف على الأقليات المسلمة في شبه الجزيرة الأيبيرية الفن المعماري المدجّن ومعظمها يحتوي على الكثير من التفاصيل المعمارية الموجودة في الجامع الكبير بقرطبة[3] والتي كانت تحوي رقعة شاسعة وبها ناس وأهل[4]كثر يقطنونها[5].

---

[1] دأب: أي جدّ وتعب، دأبا ودؤوبا، فهو دائب، والدّائبان اللّيل والنّهار. قال الفراء: أصله من دأبت، إلاّ أنّ العرب حوّلت معناه إلى الشأن. ينظر: الجوهري إسماعيل بن حمّاد ، الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، تح، أحمد عبد الغفور عطّار، ج1، ط2، دار العلم للملايين، القاهرة، 1979م، ص ص 123،124.

[2] حسين يوسف، المرجع السابق، ص ص 13،14.

[3] عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق، ص 289.

[4] أهل: فلان أهل لكذا، وقد استأهل لذلك، وأهل فلان أهولا، وتأهّل: تزوّج، ورجل آهل، وفي الحديث أنّه أعطى العزب حظّا وأعطى الآهل حظّين، وآهلك الله في الجنّة إيهالا: زوّجك، وإستأهلها: أكلها. ينظر: الزّمخشري، أساس البلاغة، تح، محمّد باسل عيون السّود، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص 40.

[5] الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 324.

2- أحوال المدجّنين في ظلّ حكم النّصارى وأهم القوانين الخاصّة بهم:

"في بداية الأمر شكّل سقوط المدن الأندلسيّة إضطرابا وقلقا كبيراً لدى أهلها، بسبب ماترتّب عليه من آثار نفسيّة وإقتصاديّة، من نفاذ للأقوات، وإضطرار النّاس لأكل الجيف، لتزداد موجة الهجرة والتروح طلبا للأمان، وبدأت موجات الهجرة الدّاخليّة بالإزدياد، وبخاصّة نحو مملكة غرناطة، فقد كان سكّان المدينة التي تسقط يرتحلون إلى مدينة أخرى، فإذا سقطت إرتحلوا إلى غيرها، وكأنّهم يغالبون الرّحيل النّهائي عن الأندلس"[1] وعن الأرض التي لم يسبق لهم ولا لأجدادهم أن عرفوا أرضاً غيرها[2].

كان المدجّنون[3] في بداية الأمر يلقون تسامحاً كبيراً من قبل الممالك النّصرانية من خلال تركهم يمارسون شعائرهم الدينية، لتخفّف عنهم مرارة التفكير في مجتمعهم الإسلامي الذي كانوا يعيشون تحت كنفه، والإنتماء الى المجتمع النّصراني، وبذلك يكون قد لبث المسلمون المدجّنون وقتاً من الزّمن يتمتّعون في ظلّ حكم الممالك النّصرانية بمزايا عديدة، ويعيشون في نوع من الأمن بعيدا الأحداث السياسية التي كانت تعيشها البلاد الإسلامية في تلك الفترة[4].

وقد بدأت هذه الأحوال تتغيّر بمرور الوقت منذ أن بدأ توسّع النّصارى في الأراضي الأندلسيّة، ليزداد عدد المدجّنين في مختلف المناطق التي تمّ السيطرة عليها من قبل أهم الممالك

---

[1] آمنة سليمان البدوي، تجلّيات سقوط المدن الأندلسية في الشعر الأندلسي، المرجع السابق، ص 266.

[2] عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق، ص 13.

[3] المدجّنين: هم المسلمون الذين بقوا في المناطق المسيحية التي إستولى المسيحيون عليها، أو ممّن وفدوا إلى مناطق مسيحية وإستقروا بها إما بإعتبارهم أسرى حرب، وإما بصفتهم مهاجرين وفدوا من جنوب شبه الجزيرة، بسبب الإضطرابات السياسية العميقة هناك، أو هربا من ويلات الحروب الأهلية، نتيجتا للظروف الأهلية القاسية، أقام المدجنون في المناطق المسيحية في نطاق تجمعات مختلفة وفق تنظيم خاص بهم، تحكمهم سلطاتهم وقانونهم الخاص، ومرّ المدجنون على مرّ العصور بظروف تعرّضوا فيها لعمليات إضطهاد متصاعدة إستهدفت أحد أمرين إما الإدماج وإما الرحيل. ينظر: مرثيديس غارثيا أرنيال، المرجع السابق، ص 69.

[4] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج5، ص 62.

النّصرانيّة،حيث أمر البابا إنوسان الرابع في سنة 1248م، ملك أراجون خايمي الأوّل وجوب جعل المسلمين عبيداً إلى النّصارى، ولكنّ خايمي الأوّل لم يطبّق ما أمره البابا إنوسان، ولّما تملّك ثغر بلنسية في سنة 636ه- 1238م، قرّر السماح للمسلمين أن يعيشوا فيها كمدجّنين، لكن هذه السياسة المنتهجة من قبل خايمي الأوّل بعد سيطرته على بلنسية لم تلقى ترحيباً لدى ملوك النّصارى أهمهم ملوك قشتالة وأراجون لدواعي وأسباب تعلّقت أساساً بالمصلحة القومية ومن أجل رخاء ممالكهم[1].

وعندما أرادت السلطات النّصرانية إخراج المسلمين المدجّنين من الأماكن التي كانت تحت سيطرتهم قامت إحدى الجماعت والمتمثّلة في الأشراف والنّبلاء بمعارضة ذلك طالبة العدول عن ذلك ليس استعطافاً لهم أو رفقاً بهم وإنّما حرصا على مصالحهم الشخصيّة، ليقابل طلبهم بالقبول شريطة ترك الدّيانة الإسلامية والدخول إلى النّصرانية، وعلى الرغم من هذا القرار القاضي بالإبقاء على المدجنين في أماكنهم للأسباب التي سبق ذكرها، إلاّ أنه ثبت تعرضهم لضغوط عديدة وعاشو في ظروف صعبة، أين بدأ حال المسلمين المدجّنين بالتدهور في أنحاء البلاد جميعها[2].

وممّا لاشكّ فيه أنّ الممالك النّصرانية أصبحت تظهر الإضطراب في وسط الأقليات المسلمة[3] حين أخذ النّصارى القادمون يقومون بإزعاج المسلمين دون أن توقفهم الدّولة النصرانية عن حدهم وتكفّهم عن مضايقتهم، لتأتي المعاناة بعدما صادر خايمي الأوّل أموال المسلمين وأقطعها للنبلاء من النّصارى الوافدين حتّى أصبح جميع المسلمين شبه عبيد وأرقاء يشتغلون عند النّصارى[4]، "وتعرضوا لإضطهادات شبه دائمة، فقد أقاموا في أحياء خصصت

---

[1] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق ، ص 62، وينظر: Fernando Aznar, España medieval, musulmanes, judí os y cristianos, Tapa blanda, España, 2004, p p 33

[2] مرثيديس غارثيا أرنيال، المرجع السابق، ص 73.

[3] أبي الحسن علي بن بسّام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح، إحسان عباس، مج1، دط، دار الثقافة، بيروت، 1997م، ص 855.

[4] علي منتصر الكتّاني، المرجع السابق، ص 83.

لهم في أكثر من مائة مدينة كمواطنين من الدرجة الثالثة في بلاد كانوا بالأمس حكاما لها، وعوملوا معاملة سيئة في كثير من الأحيان، فقد ألزمهم النّصارى بلباس خاص أو بشارة في لباسهم تميّزهم عن غيرهم مثلهم مثل اليهود وكانت على شكل دائرة صفراء قرب الصدر، وجعلوا لهم قوانين خاصة بهم"[1]،كان فيها حنينهم أكبر إلى أيّام الأمن والأنس أين كانت البلاد الإسلامية في أوجّ عظمتها وعزّها آنذاك[2].

عموما بعد أن بسطت الممالك النّصرانيّة سيطرتها ونفوذها على أهم المدن والقواعد الأندلسيّة، قاموا بفرض قوانين وإجراءات خاصّة على المسلمين الذين فظّلوا العيش في ظلّ حكم الممالك النصرانية، وقرروا عدم ترك أراضيهم والهجرة إلى بلاد الإسلام كما هاجر إخوانهم من قبل تاركين ورائهم كلّ شيء بعد أن عمّت حروب إستيلاء النّصارى على أراضي المسلمين معظم المدن الإسلاميّة [3].

بعد سقوط سرقسطة قاعدة الثغر الأعلى[4] في أيدي النّصارى وجد في كاتدرائيتها مجموعة من الوثائق العربية التي تسلّط الضوء على تاريخ المسلمين المدجّنين وأحوالهم في مملكة أراجون منذ القرن العاشر الميلادي إلى القرن الخامس عشر، وهي عبارة عن وثائق من عقود البيع والشّراء والوديعة وغيرها والتي كانت تعقد بين المدجّنين فيما بينهم وبين المسلمين المدجّنين والنّصارى[5]، "إذ كان في العصور الأولى من سيطرت النّصارى على البلاد الإسلامية قضاة يحكمون في سائر المنازعات التي تقع بين المدجّنين المسلمين فيما بينهم وفقا

---

[1] حسين يوسف، المرجع السابق ، ص 16.

[2] آمنة سليمان البدوي، الخطاب الإجتماعي في شعر حصار بلنسية وسقوطها في القرن السابع الهجري، دراسات العلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد39، العدد2، 2012م، ص 358.

[3] شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية،ج1،ط1،المطبعة الرحمانية بمصر، 1936م، ص 310.

[4] الثغر الأعلى: هو الخط الدفاعي الأول في الشمال ويمتد على وادي الإبرو Ibro الذي يصيب في البحر المتوسط شرقا، وقاعدته هي مدينة سرقسطة Zaragoza وكان يواجه مملكة أراجون وقطالونيا في شمال شرق إسبانيا. ينظر: أحمد المختار العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، المرجع السابق، ص 14.

[5] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج5، ص 57.

للشريعة الإسلامية، أمّا المنازعات التي تقع بين مسلم ونصراني، فكان ينظرها أحيانا قاضي نصراني، أو تنظرها محكمة مختلطة من قضاة من المذهبين، وكان من بين إمتيازات المدجّنين أن لايدفعوا من الضرائب غير ماكانوا يأدّونه من قبل لملوكهم، ثمّ ترك هذا الإمتياز بمضي الزمن"[1].

في حين لقي سكان إشبيليّة إمتيازا خاصّا يخوّلهم حقّ شراء الأراضي من المسلمين في منطقتهم، وهذا يعني أنّه سمح للمسلمين بالإحتفاظ بأراضيهم، من خلال مرسوم ألفونسو العاشر سنة 1254م فكان لهم بذلك حق البيع والشراء في العقّارات، وسمح للمدجّنين بها أيضاً بحمل السّلاح، وكانوا يقومون بتأدية الخدمة العسكرية، والإعفاء منها يعتبر امتيازاً خاصّاً، ومن يرغب في الإعفاء منها ما عليه سوى دفع جزية سنويّة[2].

[1] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج5، ص 57.

[2] المرجع نفسه، ص 57.

2-1- أهم القوانين الخاصّة بالمسلمين المدجّنين:

بعد أن إستولى النّصارى على القواعد والثغور الأندلسية وإستتبّت[1] أمورهم بها كانت أهم الإجراءات والقوانين المتخذة ضد المسلمين كالآتي:

1- يمنع منعاً باتاً على المسلمين المدجّنين إستخدام النّصارى ومن يقوم بذلك يحرم من أملاكه.

2- ليس لمسلم مدجّن أن يقبل دعوة نصراني أو يدخل بيته إلاّ إذا كان طبيباً.

3- من يحاول الهجرة والفرار إلى ديار المسلمين يعتبر أسير حرب ويمنع من جميع أملاكه، ويصبح مُلكاً لمن يقوم بالقبض عليه.

4- تحريم الحلل الحريرية على النّساء و الموشاة والتزيّن سواء بالذّهب أو الفضّة.

5-منع حمل السلاح وركوب الخيل على المسلمين المدجّنين عامّة[2].

6- صدور مرسوم يمنع على المسلمين على المسلمين واليهود شراء الأراضي من النّصارى، ولكنه لم يلبث طويلاً وترك هذا القانون.

7- تخصيص أحياء خاصّة بالمسلمين المدجّنين، يفصل بينها وبين أحياء النّصارى سور ضخم، وكان اليهود أيضاً يعيشون في أحاء مخصّصة لهم[3].

---

[1] إستتبَّ الأمر بمعنى تهيّأ وإستوى، وإستتبَّ أمر فلان، إذا اطَّردّ وإستقام وتبيّن، وأصل هذا من الطريق الْمُسْتَتبّ، وهو الذي خدَّ فيه السيَّارةُ أخدوداً، فوضح وإستبان لمن يسلكه، كأنّه تُبّبَ بكثرة الوطْأ ، وقشر وجهه فصار ملحوباً، بيّناً من جماعة من حوَالَيْه من الأرض، فشبّه الأمر الواضح البيّن المستقيم به. ينظر: الزبيدي محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس، ج2، تح، علي هلالي، مرا، عبد الله العلايلي، عبد الستّار أحمد فراج، ط2، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2004م، ص 57.

[2] حسين يوسف، المرجع السابق، ص 16، ينظر الملحق رقم : 06 ، ص 100.

[3] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج5، ص 57.

8- إجبارهم على دفع الجزية والضرائب والتقيّد بحكم الممالك النّصرانية[1]، والجزية يكون مقدارها مماثلاً لما كانوا يدفعونه لملوكهم[2].

9- إرغام المسلمين المدجّنين على عدم إظهار شيء من شعائر الدّيانة الإسلامية سواء كان ذلك بالقول أو الفعل.

10- الحكم بغرامة مالية في حقِّ كل من يقف أمام تنصير أو تعميد أحد أبنائه، ولذلك كان كثير منهم يقتلون أبنائهم خشية تنصيرهم.

11- الصنّاع والزرّاع والحرفيّين من المدجّنين يرغمون على أعمال مثل العبيد.

12- إجْبارُ المسلمين المدجّنين على تدشين الكنائس وبنائها والقيام بعملية تجديد بعض الآثار النّصرانيّة[3].

[1] حسين يوسف، المرجع السابق، ص 9.

[2] عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص 304.

[3] حسين يوسف، المرجع السابق، ص 17.

3- مناحي الحياة الدينية للمسلمين المدجّنين على عهد الممالك النصرانية :

طبّقَ ملوك النّصارى إجراءات وقوانين خاصّة تضمن لهم السيطرة النهائية على كلّ مدينة يتمّ دخولها بعد توالي سقوط المدن الأندلسية في أيديهم الواحدة تلوى الأخرى، لمنع قيام أي ثورات مناهضة للسلطة النّصرانية، ومن بين هذه الإجراءات سياسة التسامح والتعايش، هذا مانستشفّه من خلال ماقام به خايمي الأوّل عند دخوله لبلنسية وسيطرته عليها سنة 636ه/ 1238م، أين سمح للمدجّنين الذين بقوا ماكثين في بلنسية وآثروا البقاء على الرحيل بالحفاظ على ممتلكاتهم وممارسة عاداتهم والإبقاء على حرياتهم الدينية، ومنحوا إمتيازات أخرى، حيث تمّ إصدار أوامر بعدم المساس بهم والتقرب منهم وإزعاجهم ليمنحهم حرية تامّةً بموجب رسالة مؤرخة في سنة 640ه/ 1242م[1].

لكن وكما سبق الذكر سرعان ما طلب البابا إنوسان الرابع في سنة 646ه/ 1248م من خايمي الأول وجوب جعل المسلمين عبيداً أرقاء، إلاّ أنّ خايمي لم يأبه لذلك بحكم أن بلنسية كان بها جموع غفيرة من المدجّنين[2].

ويعود السبب أساساً لهذا التسامح إلى كثرة المسلمين المدجّنين الذين آثروا البقاء تحت الهيمنة النصرانية في بلنسية، أين كان الخوف هو هاجسهم الوحيد من ان يشكّلوا تهديداً على الممالك النّصرانية، فإضطر خايمي الأوّل إلى إستمالتهم بتلك المعاملة الحسنة المخادعة والتي سرعان ماتبدّلت إلى العكس تماماً، بمجرد أن هاجر عدد كبير من الأندلسيين إلى مختلف البلدان وعلى رأسها بلدان المغرب الإسلامي ومملكة غرناطة[3]، "وقد كانت الكنيسة تبغض هذه الطوائف الإسلامية القائمة في قلب المجتمع النصراني، وتنقم على المدجّنين هذا التسامح، وترى في إحتفاظهم بدينهم ولغتهم نوعا من التّحدي المذموم، وتأخذ على ملوك

[1] براتشينا، المرجع السابق، ص 23.

[2] المرجع نفسه، ص 23.

[3] بوحسن عبد القادر، المرجع السابق، ص 89.

قشتالة وأراجون تسامحهم في معاملتهم وتسعى جاهدة لتحريضهم على إتّباع سياسة الإنتقام والعنف، إزاء الرعايا المدجّنين والحث على إسترقاقهم أو تنصيرهم"[1].

لكن بعض المسلمين المدجّنين المتواجدين بالبلاد التي سيطر عليها النّصارى فظّلوا العيش كمواطنين من الدرجة الثالثة رافضين رفضاً قاطعاً أيّة فكرة تخوّل لهم الإندماج في المجتمعات النّصرانية، فقاموا بثورات هنا وهناك من أجل المحافظة على شعائرهم وحرياتهم الدّينية وحماية ممتلكاتهم وأعرافهم، وقد واجه النّصارى هذه الثورات بشتّى وسائل العنف المتاحة بين أيديهم[2].

لم يلتزم النّصارى بنصوص المعاهدات المنصوص عليها، ليبدأوا بفرض المغارم الباهضة على مسلمي الأندلس والتي أثقلت كاهلهم، ومنعوا من ترديد الآذان وسماعه، محاولين التشديد عليهم بذلك من أجل ترك دينهم وإعتناق النّصرانية[3]، وقاموا بالمنع المطلق لإستخدام اللغة العربية بالنسبة للمسلمين سواءٌ في الخطاب أو الكتابة[4]، فبدأت تندثر مع مرور السنين بينهم، فتحوّل تحريرهم لكتبهم ورسائلهم إلى اللغة الأعجمية، وهذه اللغة لاتشبه أبدا اللّغة التي كانت موجودة في أيام الدولة الأموية أو عصر ملوك الطوائف كالتي في أزجال[5] بنو قَزمَان[6]. وبعد كلّ ما لقيه المسلمون المدجّنون الذين فضّلوا البقاء والعيش تحت حكم النّصارى من معاناة، خاصة في المجال العقائدي الدّيني، أين أرغموا على ترك الديانة

[1] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج5، ص 62.

[2] محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17م، ط4، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014م، ص 91.

[3] بوحسن عبد القادر، المرجع السابق، ص 89.

[4] محمد رزوق، المرجع السابق، ص 95.

[5] الزجل: شعر شعبي إبتكره الأندلسيون، يكتب بأسلوب بسيط، وباللهجة الدارجة، مع إستعمال مفردات إسبانية، وهذا اللون الأدبي الشعبي إبتكره العامّة، وفي أغلب الأحيان كانت مواضع الزجل غير محتشمة. ينظر: بوحسن عبد القادر، المرجع السابق، ص 192.

[6] علي منتصر الكتّاني، المرجع السابق، ص 38.

الإسلامية واعتناق الديانة النّصرانية[1] والابتعاد عن كلّ ما يمتُّ بصلة للعقيدة الإسلامية[2]، وقاموا بإحراق مليون وخمسمائة ألف كتاب ديني، بما فيها الوثائق والمخطوطات المتعلّقة بالديانة الإسلامية، فعلوا هذا العمل اعتقاداً منهم أنهم سوف يبعدون المسلمين عن مصادر عقيدتهم الإسلامية[3]، غير أنّ الكثير من هؤلاء المسلمين بقوا يحتفظون بدينهم الإسلامي[4]،ولجأوا إلى التقيّة[5] في الكثير من الأحيان بعد ارغامهم على اعتناق النّصرانية، من من أجل التخلّص من الاضطهاد هذا من جهة ، وأمّا الجهة الثانية تكمن في محافظتهم على شعائر دينهم في سرّيةٍ تامّة[6].

بعد منع الممالك النّصرانية المسلمين المدجّنين من الإبتعاد عن شعائر الإسلام وعدم إظهار أي شيء عن الإسلام سواءاً بالقول أو بالفعل[7]، أصبحت مسألة التدجين هذه وبقاء المسلمين في الأرض التي استولى عليها النّصارى تثير كثيرا من المسائل الفقهية، أين رمى بعض الفقهاء أولئك المدجّنين بالمروق عن الإسلام لبقائهم تحت هيمنة الممالك النّصرانية[8]، ومن الفقهاء أيضاً من لم يرضى بهذا البقاء وأصدر فتوى تحرم بقاء المسلمين في ديار الكفر منهم أبو العبّاس أحمد بن يحي التلمساني[9] الونشريسي أحد فقهاء المغرب (ت 914ه/

[1] بوحسن عبد القادر، المرجع السابق، ص 91.

[2] علي منتصر الكتاني، المرجع السابق، ص 75.

[3] يوسف كاظم جغيل الشمري، محمد عبد الله المعموري، المورسكيون في بلنسية دراسة في أوضاعهم السياسية والإقتصادية والإجتماعية (1525-1609م)، دورية جامعة بابل، مج5، العدد1، دس، ص 175.

[4] حسين يوسف، المرجع السابق، ص 20.

[5] التقية: لغة هي الكتمان والتظاهر بما ليس هو الحقيقة، أمّا من الناحية الإصطلاحية فهي نظام سري لحماية دعوة ما، وتعني كذلك الإحتياط والكتمان والحذر والسرية، وهي بذلك الفعل الذي بواسطته يمتنع المسلم عن ممارسة دينه متضاهرا بإعتناق الدين الذي فرض عليه. ينظر: بوحسن عبد القادر، المرجع السابق، ص 103.

[6] بوحسن عبد القادر، المرجع السابق، ص 103.

[7] حسين يوسف، المرجع السابق، ص 17.

[8] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج5، ص 60.

[9] تلمسان: تقع في الشمال الشرقي من مدينة وجدة وهي مدينة أزلية عظيمة، فيها آثار كثيرة كانت دار مملكة زناتة. ينظر: ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 83.

1508م)، والذي كان معاصراً لسقوط آخر معاقل المسلمين بالأندلس مملكة غرناطة وكتب رسالة عنوانها: أسنى المتاجر في بيان من غلب على وطنه النّصارى و لم يهاجر ومايترتّب على ذلك من العقوبات والزواجر[1].

"وتتناول الرسالة المسألة الفقهية بخصوص المسلمين الذين آثروا البقاء تحت حكم النصارى، وهي عبارة عن فتوى طلبها أحد الفقهاء عن حكم الشرع فيمن آثر من المسلمين الأندلسيّين الهجرة من دار الإسلام إلى الأراضي المستردة ليعيش تحت حكم الممالك النّصرانية"[2] وجاء في الرسالة ما مضمونه: " ما حكم من تمادى من المسلمين في ذلك؟ وماحكم من عاد منهم إلى دار الكفر بعد حصوله في دار الإسلام؟ وهل يجب وعظ هؤلاء أو يعرض عنهم ويترك كل واحد منهم لما إختاره؟ وهل من شرط الهجرة أن لايهاجر أحد إلاَّ إلى دنيا مضمونة يصيبها عاجلا عند وصوله ..... والخروج من حكم الملّة الكافرة إلى حكم الملّة المسلمة، إلاَّ ماشاء الله من حلو أو مر أو ضيق عيش أو سعة ونحو ذلك من أحوال الدنيا "[3].

فكان جواب الفقيه فيما يخص من يريد أن يظلّ مسلماً وهو يعيش في الأماكن التي سيطر عليها النّصارى ولايريد الهجرة إلى دار الإسلام " أنّ الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة، وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل بظلم أو فتنة"[4] "بالإضافة إلى تحريم هذه الإقامة تحريم مقطوع به من الدين، كتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وقتل النفس بغير حق... ومن جوّز هذه الإقامة وإستخفّ أمرها، وإستسهل حكمها فهو مارق من الدّين، ومفارق لجماعة المسلمين"[5]، "... ولايسقط هذه الهجرة الواجبة على

[1] حسين يوسف، المرجع السابق، ص 11.

[2] محمد عبد الله عنّان، المرجع السابق، ج5، ص 60.

[3] المرجع نفسه، ص ص 60،61.

[4] الونشريسي أبي العباس، أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى و لم يهاجر ومايترتب عليه من العقوبات والزواجر، تح، حسين مؤنس، دط، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 1996م، ص 25.

[5] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج5، ص 61.

هؤلاء الذين إستولى الطاغية لعنه الله على معاقلهم وبلادهم إلاّ تصوّر العجز عنها بكل وجه وحلال، لا الوطن والمال فإنّ ذلك ملغى في نظر الشرع "[1].

[1] بوحسن عبد القادر، المرجع السابق، ص 103.

4- جوانب من المهن والصنائع لدى المدجنين:

رغم الظروف التي عاشها المسلمون تحت حكم الممالك النّصرانية إلاّ أنهم بقوا محافظين على مهنهم وصنائعهم التي برعوا فيها سابقا، فقد كانت أهم أعمالهم والتي برعوا فيها سببا هامّاً في الإبقاء عليهم وعدم طردهم، ليقوموا بالإستفادة من عملهم ونشاطهم و لم يكن من مصلحة النّصارى أن يقوموا بطردهم وإخراجهم من أرضهم، لما لهم فيهم من حاجة فقد كان يوجد مثل سائر في الممالك النصرانية يقول: لاوجود للإنتاج في ظلّ غياب المدجّنين[1].

من بين أهم المهن التي كان يمارسها المسلمون المدجّنون التّجارة والزّراعة والصّناعة فقد كانوا بذلك يرفعون من الجانب الإقتصادي للممالك النصرانية بفضل جهدهم ودأبهم في التفاني في العمل والمثابرة والتأدية للضرائب، وكانوا ساعد النبلاء في زراعة أراضيهم وإستغلالها، فقد ساهموا مساهمة كبيرة في إدخال محاصيل زراعية عديدة إلى الممالك النصرانية مثل القطن والقصب والأرز والحرير واللوز والفاكهة، كالتين والبرتقال وغيرها[2].

وكانت بلنسية أغنى الثغور على الإطلاق لما تنتجه من السكر وغيرها الكثير من المنتجات العديدة، بفعل أنها كانت تحوي جموعاً كبيرة من المدجّنين، وكان هؤلاء المدجّنين مثالا في العمل المتواصل، ومزالت مشاريع الريّ التي أنشأها المسلمون المدجنون خاصّة في مناطق من الممالك النصرانية الشرقية والشمالية الشرقية تشهد لهم بذلك في مجال الزراعة[3].

ولا تزال مناطق محاذية لمدينة جيّان تؤكّد على مجهوداتهم في المجال الزراعي حيث تعتبر زراعة الزّينون مصدرا هامّاً لإقتصادها[4]، "وكان يقع على عاتق الكثيرين من المدجنين

---

[1] شكيب أرسلان، المرجع السابق ، ص ص 310،311.

[2] محمد عبد الله عنّان، المرجع السابق، ج5، ص 63.

[3] المرجع نفسه، ج5، ص ص 62،63.

[4] عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق، ص 72.

الأعمال الشاقّة في الزراعة والصناعات والحرف والخدمة لصالح النبلاء والكنيسة بأجور زهيدة وربما بلا مقابل في بعض الأحيان"[1].

كما شهدت مملكة أراغون مزارعين بها أغلبهم من المدجّنين يعملون في أراضي يملكها نبلاء نصارى يعيشون عالة عليهم، ولذا فإن النبلاء كانوا يسعون إلى درء السلطة عنهم والقيام بحمايتهم دفاعاً على مصالحهم[2].

وتذكر بعض الروايات التاريخية عقب سقوط غرناطة أي بعد القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي أن المسلمين الذين آثروا البقاء تحت حكم النّصارى كانوا يعملون في زراعة البساتين بعيدا عن التعامل مع النّصارى القدامى، بحكم امتلاكهم أفضل دكاكين المواد الغذائية، ويعملون باعة متجوّلين، من بين المهن اليدوية التي امتهنوها مهنة صانع القدور، والحداد وصانع الأحذية، وهذا في وصف أحد مؤرخي مدينة بلاسينثيا Plasencia[3].

"عندما عمدت السلطات القشتالية إلى ترحيل وطرد المدجنين في بداية القرن السابع عشر ميلادي تعرض النشاط الزراعي إلى نكسة كبيرة بفعل هذا الإجراء المتّخذ من قبل السلطات القشتالية نتيجة إهمال المملكة النصرانية له، وإستمرّ ذلك إلى أن تجدّد الإهتمام به، وأصبحت البلاد النصرانية من بين أكثر الدول إنتاجا للزيتون[4] والدّراق، بل إنها اليوم أكبر مصدر للزعفران[5] ومركز الإتجار به في مدينة البسيط جنوب غربي بلنسية"[1].

---

[1] حسين يوسف، المرجع السابق، ص 16.

[2] علي منتصر الكتاني، المرجع السابق، ص 82.

[3] أنطونيو دومينيغيث أورتيت، برنارد فانسون، تاريخ المورسكيين حياة ومأساة أقلية، تر، محمد بنيانة، مرا، زينب بنيانة، ط1، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، أبوظبي، 2013م، ص 181.

[4] الزيتون: ثمر معروف و الزّيتُ دهنه و (زائُهُ) (يزيته) إذا دهنه بالزّيت. الفيومي، المصباح المنير، المصدر السابق، ص 261.

[5] الزعفران: نبات عشبي معمّر يعطي أزهار ذات رائحة عطرية يستعمل في صنع العطور والأدوية. ينظر: جاسم ياسين الدرويش، حسين جبار العلوي، مدينة بيّاسة الأندلسية92-623ه/711-1226م، دورية جامعة بابل، مج24، العدد4، 2016م، ص 14.

هذا كلّه فيما يخص الزراعة أمّا الجوانب الإقتصادية الأخرى كالصناعة والتجارة فقد كان للمدجّنين دور كبير في هذين المجالين إبّان الحكم النّصراني، فقد قام المدجّنون بوضع أسس الصناعات النّصرانية، فكانوا متفوّقين في الصناعات الدقيقة، وكانت صناعتهم تقتصر في الغالب بكثرة على المنسوجات القطنية والحريرية، والفخّار والخزف والجلود، ال، فلم يك ثمّة خزف أفضل من خزف مالقة، ولا حرير ألميرية وغرناطة، ولا من ناحية السلاح الطليطلي، ولا منتجات مدينة قرطبة[2].

وكانت الأقليات المسلمة في الممالك النصرانية تزاول مهنة التجارة بشكل واسع، فكانوا أفضل التجار وأكثرهم تأديةً للأمانة والنزاهة، ولم يكن في صفوفهم من يمارس حرفة التسوُّل إذ كانوا يعُولون فقرائهم وضربوا في ذلك أروع الأمثلة، يفصلون بمفردهم في منازعاتهم، وقد كان أيضا هؤلاء المدجّنين يستأثرون في العلوم والفنون والمهن، فكانوا أطباء ومهندسين وبنائين ناجحين[3]، وامتازوا بكثير من الدقّة والخبرات والمهارات في ذلك[4]، "ذلك أنّ الإسلام أتى بنظام إجتماعي شامل إنعكس على طبيعة الحياة الإجتماعية في المدن الإسلامية ما أضفى على الحياة داخل أسوار هذه المدن قدرا من الحيوية والنشاط"[5].

وفي دراستنا للفئات الإجتماعية التي كانت تعيش في كنف الممالك النصرانية خلال الفترة الزمنية التي أعقبت سقوط المدن الأندلسية في أيدي النّصارى خاصة الرعايا المدجنين، لايمكن أن نمرّ دون أن ننوّه إلى أهم المهن التي كانوا يمتهنونها في المجال العمراني، والتي تتمثّل في الفن المعماري لدى المدجّنين، إذ وبعد سقوط قرطبة في أيدي النّصارى لم تجد السلطات الحاكمة سوى المسلمين المدجّنين لتعهد إليهم بالأعمال المعمارية فكان الكثير منهم ممّن

[1] عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق، ص 72.

[2] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج5، ص 63.

[3] المرجع نفسه، ص 63.

[4] حسين يوسف، المرجع السابق، ص 14.

[5] محمد بن حمو، الضرر على المساكن من خلال فقه عمارة المدن الإسلامية، دورية كان التاريخية، العدد38، القاهرة، 2017م، ص 64.

يحترف حرفة البناء والنّجارة وغيرها من الحرف الأخرى يعملون مرتين كل سنة في أكبر الكاتدرائيات، وكعرفان بمجهوداتهم أصدرت السلطات النّصرانية في القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي(سنة 1280م)، رسالة تثمن فيها أعمالهم وتتعهّد بأن لايتعرّض لهم أحد[1].

عرف الفن المعماري المدجّن الجمع بين عدد من الأشكال المعمارية المختلفة التي عرفتها البلاد النصرانية مع اتساع حركة استيلاء النصارى على ديار المسلمين الأندلسيّين، وهنالك عدد معتبر من الكنائس مبني في ليون وقشتالة وقطلونية وغيرها من المواضع في الشمال والشرق من شبه الجزيرة الأيبيرية[2].

ومعظم هذه العمارة الدجنية التي تحتوي تفاصيلها موجودة[3] "بالمسجد الجامع بقرطبة"[4] أو كما يطلق عليه الجامع الأعظم بقرطبة[5] والذي يحتوي سبعة أبواب لدخول الناس منها وبابان خصّصا لدخول النساء إلى مقاصرهنّ[6]، في حين تقابله القصبة الكبيرة[7] وقد كتب الفقيه الكاتب أبو محمّد إبراهيم ابن صاحب الصلاة يصف جامع قرطبة بما نصّهُ: " ... وإنّي شخصت إلى حضرة قرطبة حرسها الله تعالى منشرح الصدر، لحضور ليلة القدر، والجامع

[1] حسين يوسف، المرجع السابق، ص 15.

[2] عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق، ص 289، ينظر الملحق رقم : 07 ، ص 101، و الملحق رقم : 08، ص 102.

[3] المرجع نفسه، ص 289.

[4] ابن بشكوال، كتاب الصلة ومعه كتاب صلة الصلة لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي، تح، شريف أبو العلا العدوي، مج1، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م، ص 133.

[5] ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، الذيل والتكملة، تح و تع، إحسان عباس وآخرون، مج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012م، ص 15، ينظر الملحق رقم : 09 ، ص 103

[6] العذري، نصوص عن الأندلس، تح، عبد العزيز الأهواني، دط، معهد المنشورات الإسلامية، مدريد، دس، ص 123.

[7] محمد الغسّاني الأندلسي، رحلة الوزير في إفتكاك الأسير، تق، نوري الجراح، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2002م، ص 50.

قدّس الله تعالى بقعته ومكانه، وثبّت أساسه وأركانه، قد كسي ببردة الإزدهاء، وجُلي في معرض البهاء، كأنّ شرفاته فلول في سنان، أو أشرٌ في أسنان..."[1]

لازالت الآثار الإسلامية المتعدّدة في البلاد النصرانية تنطق بفن وبراعة المدجّنين إلى يومنا هذا منها مسجد المدجّنين في طليطلة ويعرف اليوم بدار الدبّاغين، بالإضافة إلى مدينة طرويل التي مازالت تحتفظ بالكثير من ملامح هذا الفنّ إلى وقتنا الحالي أيضاً في أبراجها وكنائسها ومنها برج سان بدرو الذي يعتبره الكثير أنه أوّل برج أنجز وفقا للطراز المعماري المدجّن[2].

وتعتبر العمارة الدجنية نتيجة لبقاء عدد معتبر من المتخصّصين في المجال المعماري والبناء في المناطق التي التي سيطر عليها النّصارى، فكنيسة القديس خوان الموجودة في طليطلة مثلا هندسة وبنيت وفقاً للطراز الدّجني، و فيها من السمات المعمارية التي كانت موجودة في عصر النهضة في فلورنسا[3]، "ويمكن القول أن الفن المعماري المدجّن ساهم في بقاء الحضارة العربية الإسلامية في بلاد الأندلس يشهد على ذلك العدو قبل الصديق، وممّا يدلّ على هذه الآثار المعمارية الإسلامية للمدجّنين التي لازالت إلى يومنا هذا شاهدة على ذلك رغم الفترة الزمنية الكبيرة التي أعقبت طرد المدجّنين من البلاد النصرانية"[4].

نظرا لشح المادة العلمية و ندرتها أحيانا حول أوضاع المسلمون الذين آثروا البقاء في المدن التي سيطر عليها النصارى مابين القرنين الخامس و السابع الهجريين ، ارتأينا أن نستأنس بأخبارهم و أحوالهم في القرون الاحقة و حتى بعد سقوط أخر معقل للمسلمين في

---

[1] المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح، إحسان عبّاس، مج1، دط، دار صادر، بيروت، 1968م، ص 552.

[2] حسين يوسف، المرجع السابق، ص 17، ينظر الملحق : رقم 06 ، ص 100.

[3] عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق، ص ص 289،290.

[4] خليل خلف الجبوري، معالم من الحضارة العربية في الأندلس " الفنادق نموذجا "، دورية كان التاريخية، العدد18، 2012م، ص 57.

الأندلس و هي مملكة غرناطة لإرتباط أوصاف المؤرخين بين الفترتين و تشابه أوضاعهم الإجتماعية و الإقتصادية .

5- ذروة إضطهاد مسلمي الأندلس :

شكّل سقوط غرناطة ماكان يعدّ من عدّة جوانب إنحرافا إستثنائيا عن المواجهة الدينية والجيوسياسية بين الإسلام والنصرانية، لتقع معظم وقائع تاريخ شبه الجزيرة الأيبيرية نتيجة لخلفيات تعود أساساً إلى الحملات الصليبية، حيث أنّ الحروب النصرانيّة كانت تصوّر **السراكينوس**[1]المسلمين دوما على أنّهم لايستحقون إلاّ الإبادة، فعداوة الحرب النّصرانية وخطابها كانت تخرج الإنسان عن طوعه وعن إنسانيته[2].

وبعد سقوط غرناطة آثرت أقلية من المسلمين الأندلسيين العيش في كنف الممالك النّصرانيّة ورفظوا رفضا قاطعاً لأيّة رغبة في إدماجهم وسط المجتمع النصراني، ليقوموا بعد ذلك بإعلان الثّورة عدّة مرات من أجل المحافظة عل هويتهم الحضاريّة، وقد واجت الممالك النصرانية هذه الثّورات بكلّ عنف ووحشية لردعها والقضاء عليها[3] فأجبر من ظلّ منهم هناك في ديار الكفر على إعتناق النّصرانيّة[4]، في حين رأى بعض المسلمين الآخرين أن العيش كمواطنين من الدرجة الثالثة أفضل لهم من إعتناق دين غير الدّين الإسلامي، "وقد تعرضوا سنة1502م، إلى الإضطهاد والتنصير فتنصّر منهم من تنصّر وحافظ بعضهم على دينه سراّ

---

[1] الساراكينوس أو السراسنة: (Saracen) مصطلح تاريخي بمعنى الشرقين ويبدو أنه مشتق من الكلمة العربية، استخدم للإشارة إلى جماعات معيّنة لكن بمعان مختلفة، فاستخدم في القرون الأولى في اللغتين اليونانية واللاتينية للإشارة إلى سكان المناطق الصحراويّة، في مقاطعة البتراء الرّومانية أو حولها، الذين كانو مميّزين عن العرب وفي أوروبا في العصور الوسطى، المبكرة بعد إستخدامه لوصف القبائل العربية، وفي القرن الثاني عشر أصبح مرادفا لكلمة مسلم في أدب العصور الوسطى اللّاتيني، وهو التوسيع للمصطلح الذي حدث قبل قرون بين البيزنطيين كما يتّضح في الوثائق اليونانية البيزنطيّة من عهد الخلافة الأمويّة. ينظر: ماثيو كار، المرجع السّابق، ص 73.

[2] المرجع نفسه، ص 73.

[3] محمّد رزوق، الأندلسيون، المرجع السابق، ص 91.

[4] محمّد عبده حتاملة، محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها، ط1، مطابع دار الشعب، الأردن، 1977م، ص 78.

فأظهر النّصرانية وأبطن الإسلام ومارس شعائره سراّ وذهب في ذلك مذهب التقيّة،أين ظهر مايسمّى في التاريخ الأندلسي أو النّصراني بالمشكلة الموريسكيّة التي شغلت ملوك النّصارى نحو قرن من الزّمان وأصبح هؤلاء المسلمين المدجّنين الّذين تعرضوا للتنصير يطلق عليهم إسم الموريسك أو المورسكيّون أو المواركة"[1]، وقد أطلقوا عليهم اسم المورسكيّين لإذلالهم وإحتقارهم، والتصغير من شأنهم[2].

إختار المورسكيون[3] لمواجهة المدّ النّصراني مبدءاً يرتكز أساسه على مبدأ التقيّة كما سبق ذكره[4]، في حين فضّل مدجّنوا مملكة أرغون و مدينة بلنسية وغرناطة أن يغيروا دينهم ظاهريا من خلال إخفاء الإسلام وإظهار النّصرانية حتّى يبقوا في ديارهم وأوطانهم مخافة فقدانها إلى الأبد[5]، أمّا المسلمون المورسكيون الذين أرغمتهم الممالك النّصرانية على إعتناق النصرانية، ظلّ إسلامهم محفوراً في أعماق قلوبهم، مستمرّين في ممارسة الشعائر الإسلامية سرّا دون علم النّصارى بذلك، إلى أن تمكّن النّصارى من اكتشاف حقيقتهم ولجأوا إلى طردهم عام 1609م حيث سنأتي لذكر ذلك فيما بعد[6].

وبخصوص هذه المسألة أباح أحد الفقهاء المغاربة وهو المغراوي للمسلمين الذين بقوا تحت السيطرة النّصرانية، القبول بممارسة الطقوس النّصرانيّة في حال ما أكرهوا على ذلك

---

[1] حسين يوسف، المرجع السابق، ص 10.

[2] راغب السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ج1، ط1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2011م، ص 695.

[3] المورسكيون: لفظ يرادف المسلمين الذين أجبروا على التنصّر في أوائل القرن السادس عشر الميلادي في ممالك النّصارى "قشتالة" و " أراغون"، " ونبارا" وتعني المسلمين الصغار وهو ما أطلقه النّصارى عليهم تحقيرا لهم. ينظر: عمر بكر محمد قطب، الأبعاد النفسية للمحنة المورسكية، دورية كان التاريخية، العدد9، 2010م، ص 16.

[4] محمّد رزوق، المرجع السابق، ص 123.

[5] محمد عبده حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، المرجع السابق، ص 689.

[6] عبد الجليل التّميمي، تراجيديا طرد المورسكيين من الأندلس والمواقف الإسبانية منها، دط، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2011م، ص 21.

وأن يكون إيمانهم بالقلب بالديانة الإسلامية مع مراعاة التماشي والإستمرارية في أداء شعائر الدين الإسلامي بالخفاء[1].

ونجد خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين عدّة مسلمين مورسكيين برعوا في استخدام بحور الشعر النصراني بمهارة، وكانوا يعملون على ذلك من أجل نشر أصول عقيدتهم بين عامّة النّاس[2]، فلم يبخل الشعراء ولم يدّخروا جهداً جهدا من أجل الدّفاع عن دينهم أمام تطاول الممالك النّصرانية[3]، "وهناك من العلماء من لم يرضى ببقاء المسلمين تحت حكم النّصارى منهم أبو العبّاس التلمساني الونشريسي حيث أجاب لّما سأل أن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة، وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل بظلم أو فتنة"[4]، في حين سجّلت بعض الإحصائيات قدر المسلمين الذين فظّلوا الهجرة على البقاء تحت حكم الممالك النّصرانية ليهاجروا إلى العدوة المغربية نحو ثلاثة ملايين مسلم منذ أن انهارت مملكة غرناطة سنة 1492م[5].

أصبحت معاناة من بقي من المسلمين بعد أن سقط آخر معاقل المسلمين بشبه الجزيرة الأيبيرية واضحاً بعد ظهور محاكم التفتيش، إذ أصبح المورسكيّون عرضة لمتابعاتها حيث لايمكن إعطاء تاريخ محدّد لبروز ونشوء محاكم التفتيش[6]، إلا أنّ بعض المؤرخين في رواياتهم يأكّدون على أنّ ظهورها الأوّل كان في القرن السابع هجري/ الثالث عشر ميلاد، مع تزايد ظلم الكنيسة الكاثوليكيّة، وظهرت أوّل محكمة للتفتيش في شبه الجزيرة الأيبيرية في مملكة أراغون في القرن الثالث عشر الميلادي ووضع لها نظام محدّد سنة 1242م، سميت آنذاك

[1] محمّد عبد الله المعموري، يوسف كاظم جغيل الشمري، المورسكيّون في بلنسية (دراسة في أوضاعهم السياسية والإقتصادية والإجتماعية)، دورية مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج5، العدد1، بابل، دس، ص 193.

[2] أنخل جنثالث بالنثيا، المرجع السابق، ص ص 518-520.

[3] آمنة بنت منصور، دور القصيدة الأندلسية في الدفاع عن الدين، دورية كان التاريخية، العدد11، 2011م، ص54.

[4] الونشريسي، المصدر السابق، ص 25.

[5] علي منتصر الكتّاني، المرجع السابق، ص 11.

[6] محمّد رزوق، المرجع السابق، ص 74.

بالدّيوان القديم[1]، "وأنشأت محكمة التفتيش الأولى في إشبيلية، وبدأت نشاطها المروع في قشتالة ضد اليهود المتنصّرين "Confarsos" فطاردت ألوفا منهم، وأنشأت محاكم تفتيش جديدة بعد ذلك في قرطبة وجيّان وشقوبية وطليطلة، وبلد الوليد وصدرت براءة أخرى في سنة 1483م، بإنشاء مجلس أعلى محاكم التفتيشSeorema له إختصاص مطلق في شؤون الدّين"[2].

من جملة ما تقوم به محكمة التفتيش أوّلاً بداية عملها بالتّبليغ إمّا عن طريق شخص يأتي بنفسه أو من دونه، عندما يكون المبلّغ شخصاً تعرفه الجهات المختصَة يستدعى لتقديم شهادته التي تعتبر تفتيشاً أوَلياً[3]، "وقد كانت محاكم التفتيش والتحقيق مضرب المثل في الظّلم والقهر والتّعذيب، وكانت تلك المحاكم والدّواوين تلاحق المسلمين، حتى تظفر بهم بأساليب بشعة تقشعر لها القلوب والأبدان"[4].

قام الملكان الكاثوليكيان من خلال عداوتهما للإسلام وللمسلمين بإصدار أمر سنة 1501م، يمنع المسلمين المورسكيّين ممارسة كل ماله صلة بالعقيدة واللّغة، هذا ما دفعهم إلى الإبتعاد وعدم القرب من العيش بجوار النّصارى والإلتحاق بإخوانهم في الجبال ثمّ أجبروا بعد أن أعلنوا الثورة مراراً على لبس اللّباس الخاص بالنّصارى والتطبّع بطباعهم، وأرغموهم على ترك لغتهم و معتقداتهم وعاداتهم وأسمائهم[5] واتّخذوا في سبيل هذا الأمر عدّة إجراءات منها بعث أبناء من يقوم بالخروج عن المملكة النّصرانية إلى مملكة قشتالة رهائن يقتلون إذا ثار آبائهم[6].

---

[1] علي المنتصر الكتّاني، المرجع السابق، ص ص 66،65.

[2] محمّد رزوق، المرجع السابق، ص 75.

[3] علي المنتصر الكتاني، المرجع السابق، ص 68.

[4] راغب السرجاني، المرجع السابق، ص 699.

[5] ستانلي لين بول، المرجع السابق، ص 157.

[6] محمّد عبده حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، المرجع السابق، ص 683.

وبعد أن أشار أحد المسؤولين النّصرانيين يدعى "ألونسو غوتيريت" على السلطات النّصرانية بأن ينظر النّصارى إلى المسلمين المورسكيين على أنهم أعداء مُعْلَنُون[1]، قام كارلوس الأوّل في أبريل من عام 1525م بإصدار مرسوم يوضّح فيه مايجب عليهم اتّخاذه في حقّ المورسكيين من اجل تنصيرهم وأمر بتنفيذ مايلي:

1-إجبار المورسكيين على عدم مغادرة أماكن إقامتهم وفي حال لم يتقيّدوا بذلك يصبحون عبيداً لمن يقبض عليهم[2].

2-أن يوضع هلال أزرق فوق قبعاتهم ويجب أن يكون حجمه مثل حجم نصف البرتقالة.

3-أيام الأعياد التي تختارها الكنيسة يمنع على المورسكيين العمل فيها.

أن لايقوموا ببعث إشارات تهدف أساساً للإجتماع لتأدية الصلاة[3].

منذ عام 1526م لم يبقى في المدن الأندلسية التي سيطر عليها النّصارى مسلمون يحملون هذا الإسم، لتبدأ مرحلة دامت نحو ثلاثين عاما، عملت فيها السلطات النّصرانيّة جاهدة في العمل على تثقيف من دخلوا النّصرانيّة مؤخرا والقيام بتنصيرهم[4]، ليقرر بعدها القانون النّصراني منع التخاطب باللغة العربية والتعامل بها وقاموا بتعليم اللّغة النّصرانيّة لجميع المورسكيين[5]، أين أصدرت من جديد عدّة مراسيم ضدّ المورسكيين من قبل المملكة النّصرانية أهمها:

---

[1] ماثيو كار، المرجع السابق، ص 388.

[2] بدرو لنغاس، حياة المورسكيين الدّينية، تر، جمال عبد الرحمن، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010م، ص ص 28،27

[3] المرجع نفسه، ص 28.

[4] مرثيديس غارثيا أرينال، المرجع السابق، ص 123.

[5] علي منتصر الكتّاني، المرجع السابق، ص ص 76،75.

1-مرسوم خاص بالملابس يمنع المورسكيّين من الإبقاء على عاداتهم في من حيث ارتداء اللّباس العربي القديم ، ويجبرهم على ارتداء الملابس التي على الشكل النصراني.

2- مرسوم يمنع إستعمال الألقاب العربية وماشابه[1].

3-مرسمو يحظر المورسكيين من إستعمال الحمامات ويمنعهم من إقتناء العبيد والأسرى من أجل خدمتهم[2].

تعتبر سنة 1502م أوّل بدايات الفكرة القاضية بإخراج وطرد المورسكيين من شبه جزيرة إيبيريا[3]، بعد أن قام بعض مسؤولي مملكة قشتالة المبعدين الغرناطيين بالقيام بإفساد النّصارى الجدد الّذين ظلّوا تحت كنف مملكة قشتالة قبل وصولهم، وأنهم كانوا يحرّضونهم على العودة إلى الديانة الإسلامية[4]، وعلى إثر كلّ هذه المعطيات وملائمة الظروف وافق النّصارى في القرن 17 ميلادي على المصادقة بخصوص قرار يقتضي مضمونه بإخراج جميع المورسكيين من الأندلس[5]. ورغم طرد المسلمين الأندلسيّين من شبه الجزيرة الأيبيرية لاتزال لاتزال آثارهم التي تركوها خلال ثمانية قرون لاتزال شاهدة على عظمة الإسلام وحضارته إلى اليوم بعد أن عادت بلاد الأندلس إلى النّصرانيّة مرّة أخرى[6].

[1] بدرو لونغاس، المرجع السابق، ص ص 30،29، ينظر الملحق : رقم 10، ص 104

[2] محمّد رزوق، المرجع السابق، ص 95.

[3] محمّد عبده حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، المرجع السابق، ص 689.

[4] ماثيو كار، المرجع السابق، ص ص 385-388.

[5] محمّد رزوق، المرجع السابق، ص 139.

[6] حسين يوسف، المرجع السابق، ص ص 54-57.

من خلال هذا الفصل المخصّص للجانب الإجتماعي الخاص بالمسلمين الذين آثروا البقاء والعيش تحت حكم الممالك النّصرانية بعد توالي سقوط أهم القواعد والثغور الأندلسية الواحدة تلوا الأخرى بأيدي النّصارى، يمكن القول على أنّ معظم هذه الأقليات المسلمة فضّلت البقاء والتنصّر على الهجرة أمام ما اعتبروه أمراً حتمياً اعتقاداً منهم أنهم سوف يتركون وشأنهم، والبعض الآخر قرّر الهجرة إلى غرناطة آخر معاقل المسلمين بالأندلس والتي بقيت حاملة للواء المسلمين بها، وهناك منهم من فضّلوا الموت كأندلسيين على التنّصر، ومن تنصّر منهم مارس مبدأ التقيّة أين أظهر النّصرانية وأبطن الإسلام في قلبه.

عُرف هؤلاء المسلمين الذين بقوا تحت السيطرة النّصرانية بالمدجّنين، فقد كان لبقائهم أسباب متعدّدة في النهاية كلّها أسباب تخدم المصلحة النّصرانية خاصّة من الجانب الإقتصادي، أين كانت السلطات النّصرانية تستخدم هؤلاء المدجّنين في مجال الزراعة والصناعة والتّجارة حيث ساهموا وبقدر كبير في الرفع من الجانب الإقتصادي للممالك النّصرانية.

بعد أن إستتبّت أمور النّصارى في المدن الإسلامية بشبه الجزيرة الأيبيريّة قامّ النّصارى بتخصيص أحياء خاصّة بالمدجنين، وفرض إجراءات وقوانين خاصّة بهم، مسّت هذه الإجراءات مجال عقيدتهم الدّينية، أين أجبروا على ترك دينهم الإسلامي وإعتناق الدّين النّصراني وإجتناب كلّ مايمتّ للعقيدة الإسلامية بصلة، لكن ورغم كلّ هذه الظروف السيئة التي عاش فيها المسلمون إلى أنّهم لم يغفلوا جوانب من أهم المهن كالتّجارة والزراعة والصّناعة والفن المعماري المدجّن أين لم تجد السلطات النّصرانية سوى المدجّنين لتعهد إليهم بالأعمال المعماريّة التي لازالت إلى يومنا هذا تشهد لهم بفنهم وبراعتهم رغم مرور الزّمن وطول الفترة التي أعقبت طرد المسلمين من البلاد النّصرانية.

عموما تواصلت معاناة المسلمين في ظلّ حكم الممالك النّصرانية بعد القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي، أين بلغت هذه المعاناة ذروتها بعد سقوط غرناطة مع ظهور

محاكم التفتيش التي كانت دائما مسلّطةً على رقابهم، ومعرضين دوماً لمتابعاتها، حتّى خلصت الممالك النّصرانية بحكم الظروف المواتية على المصادقة بخصوص القرار القاضي بطرد المسلمين من شبه الجزيرة الأيبيرية والتي كانوا بالأمس حكاماً لها.

خاتمـــة

خاتمة :

من خلال دراستنا لهذا الموضوع المتعلّق بالأوضاع السياسية والإجتماعية للمدن الأندلسية في ظلّ الهيمنة النّصرانية من الفترة الممتدّة مابين القرنين الخامس والسابع الهجريين/ الحادي عشر والثالث عشير ميلادي، يمكننا في الأخير مع نهاية بحثنا التّوصّل إلى مجموعة من النّتائج نوردها كالآتي:

شهدت البلاد الأندلسية خلال القرن الرّابع ومطلع القرن الخامس هجري اضطرابات سياسية تمكّنت من اجتياحها، إلاّ أنّ الجهود المبذولة لخلفاء الدّولة الأموية والمتمثّلة في جهود كلٍّ من عبد الرحمن النّاصر لدين الله والحكم المستنصر ثمَّ الحاجب المنصور بن أبي عامر في مواجهة الخطر النّصراني في الشّمال مكّنهم من المحافظة على وحدة البلاد الأندلسية.

بعد سقوط الدولة العامرية سنة 399ه والتي أدّت بدورها إلى انفراط عقد الخلافة الأموية، أصبحت قرطبة تواجه صراعات داخلية من أجل السلطة، فكانت لفتنتها الأثر البارز في تغيّر الخارطة السياسية للأندلس حيث أدّت هذه الفتنة إلى ظهور عصر ملوك الطوائف و تقاسم سكان بلاد الأندلس أملاك الدّولة الأموية، وأخذ بذلك كلّ واحد مدينة من المدن الأندلسية وأصبح حاكماً لها لتكون الأندلس بذلك دخلت عصر ملوك الطوائف والذي شهد بدوره اضطراباً سياسياً كبيرا خاصّة بعد تناحر أمراء الطوائف فيما بينهم.

في ظلّ الصراع والحروب الطويلة بين ملوك الطوائف أين أراد كلّ واحد منهم توسيع مملكته على حساب الآخر، أصبحت البلاد الإسلامية بالأندلس أقلّ قوّة ممّا كانت عليه في عصر الولاة و الإمارة ثمّ الخلافة الأموية، في حين إستغلّت الممالك النّصرانية هذا النّزاع القائم بين المسلمين أحسن إستغلال و بدأوا بتجميع كلمتهم من أجل الإستلاء على أراضي المسلمين وبالفعل تمّ ذلك مع بداية سقوط بعض الثغور والقواعد في الشّمال.

عظم شأن الممالك النّصرانية بعد ظهور مملكة قشتالة على الساحة السياسية وملكها ألفونسو السادس الذي إستطاع أن يعمل على إضعاف وإرهاق ملوك الطوائف بفرض

الإيتاوات حتى تمكّن من إسقاط طليطلة عاصمة القوط قديماً، ليصبح هذا دليلاً واضحاً على الضعف الحاصل لأمراء الطوائف فما كان منهم إلى أن إستغاثوا بالدّولة المرابطيّة والتي عبرت بدورها إلى الأندلس لتنقضها من السقوط بعد معركة الزّلاقة حيث أسفرت نتائجها السياسية على وقف الخطر والزّحف النّصراني الذي كان يحدّق بالمسلمين، لتدخل بذلك الأندلس تاريخاً جديدا هو عصر المرابطين بالأندلس، تلتها مرحلة الموحّدين وجهودهم في الإبقاء على الإسلام بشبه الجزيرة الأيبيرية.

على الرغم من الجهود المبذولة من الدّولة الموحديّة في تخليص المسلمين الأندلسيين من النّصاري لم تستطع بعد معركة العقاب أن تقف أمام هذا المد واستفحال قوّة الممالك النّصرانية، لتبدأ القواعد والمدن الأندلسية بالسقوط الواحدة تلوى الأخرى بأيديهم.

بعد توالي سقوط المدن الإسلامية بالأندلس أصبح المسلمون يعيشون في ظلّ الهيمنة النّصرانية، لتتغيّر حياتهم بعد أن كانوا أسياداً وحكّاماً على هذه البلاد مغيّرة بذلك معها أوضاعهم السياسية والإجتماعية وحتّى الإقتصاديّة.

أجبرت السياسة المنتهجة من قبل السلطات النّصرانية المسلمين الذين آثروا البقاء تحت حكمهم ورفض الهجرة إلى بلاد الإسلام إلى القيام بثورات مناهضة ومندّدة لهذه السيادة الجائرة والظالمة في حقّهم، ورغم كل المجهودات المبذولة من قبل الثائرين إلى أنهم لم يستطيعوا إسترجاع ما ضاع منهم وأرغموا على تقبّل ذلك طوعاً أو كرهاً.

مع نهاية القرن السابع هجري لم يبقى من المدن الإسلاميّة الكبرى من يهدّد الإستقرار السياسي النّصراني، باستثناء مملكة غرناطة و التي بقيت حاملة للواء المسلمين بشبه الجزيرة الأيبيرية بحكم كيانها السياسي القوّي لتأخر بذلك السقوط النهائي للأندلس.

تغيّر الحياة الإجتماعية لدى المسلمين في ظلّ الحكم النّصراني دفع البعض منهم إلى الهجرة، منهم من هاجر إلى مملكة غرناطة ومنهم من هاجر إلى العدوة المغربية، والبعض الآخر حملته

ظروف الحياة على البقاء مرغماً تحت حكم الممالك النّصرانية ليُعْرَفُوا فيما بعد باسم المدجّنين.

لم يلق المدجّنون حسن المعاملة فقد كان يخيّل لهم أنّهم سوف يتركون وشأنهم، فخيّروا بين التنصّر أوّ الرّحيل، أين وافق البعض منهم أمام ما اعتبروه أمراً حتميّا ومارس مبدأ التقيّة ليظر الدّين النّصراني ويبطن الإسلام في قلبه، في حين فضل البعض الآخر الموت كأندلسيين على التّنصر.

عانى المسلمون المدجّنون من الناحية الإجتماعية بفعل القوانين والإجراءات الظالمة والتعسّفيّة في حقّهم كونهم حرموا من جميع الحقوق وعوملوا معاملة سيّئة ، لتتدهور بذلك أوضاعهم الإجتماعية أكثر فأكثر.

حاربت الممالك النّصرانية الديانة الإسلامية وقاموا بإجبار المسلمين بالإبتعاد عن كلّ مايمتّ للعقيدة الإسلامية بصلة، وفرضوا التنّصر عليم وحرم بذلك المسلمين من ممارسة شعائرهم الدينية.

على الرغم من كلّ هذه الظروف التي عاشها المسلمون المدجّنون في ظلّ الهيمنة النصرانيّة لم تمنعهم من ممارسة نشاطاتهم والتي برعوا فيها كالزراعة والتّجارة والصناعة و العمارة أين أصبحت تعرف بالفنّ المعماري المدجّن.

لم تقف معاناة المسلمين الأندلسيين عند هذا الحدّ بل تواصلت بعد القرن السابع هجري لتبلغ أوّجها بعد سقوط آخر معاقل المسلمين بالأندلس، حيث عانى المورسكيّون الويلات أمام الممالك النّصرانية إلى أن تمكّنوا من طردهم لتعود الأندلس نصرانيّة بعد أن ظلّت تحت راية الإسلام مدداً طويلاً.

الملاحـــق

الملحق رقم 01 :

خريطة تبين تواريخ سقوط المدن الأندلسية [1]

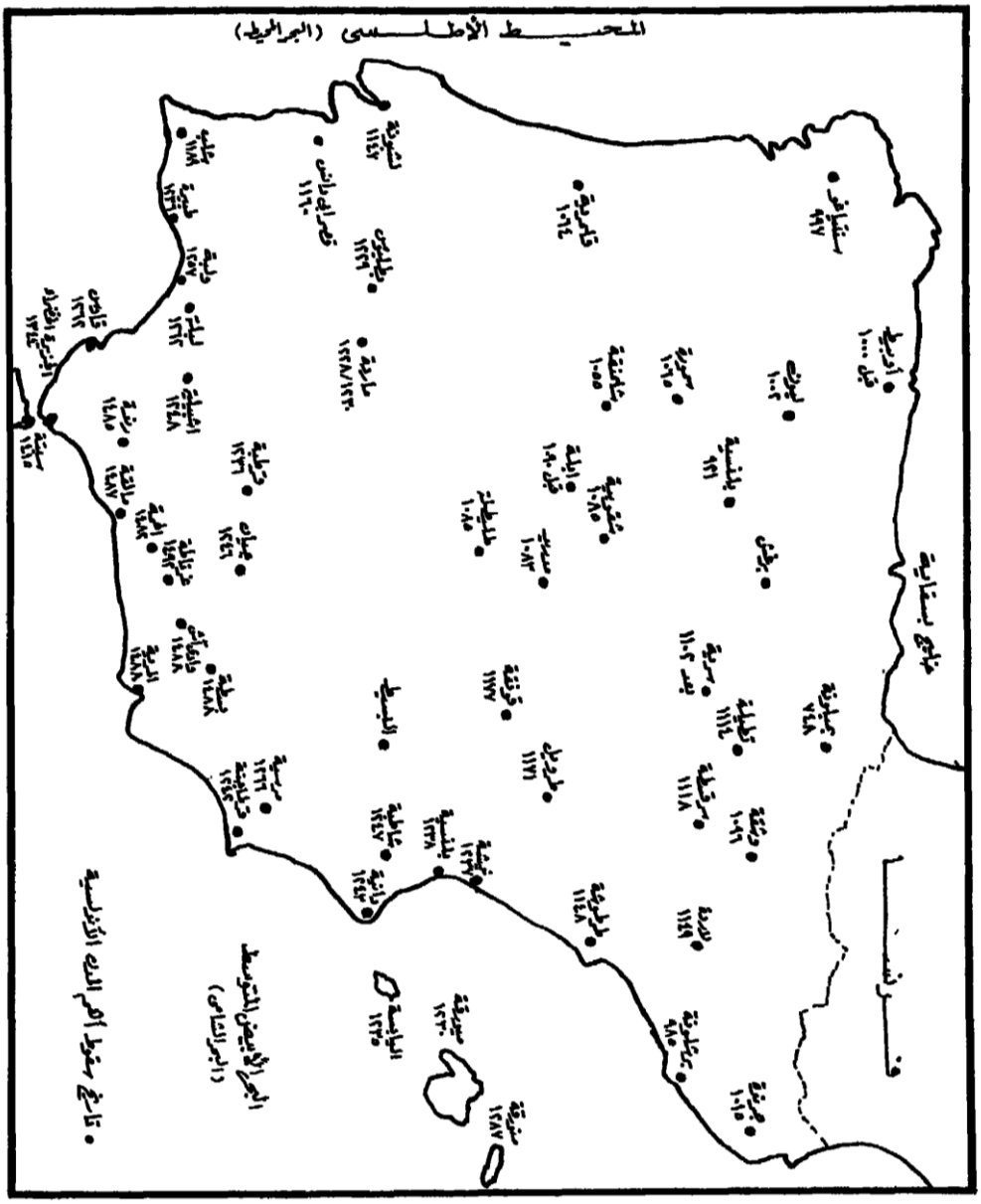

[1] عادل سعيد البشتاوي ، المرجع السابق ، ص 90

الملحق رقم 02 :

خريطة توضح توسع الممالك النصرانية على حساب الأراضي الإسلامية [1]

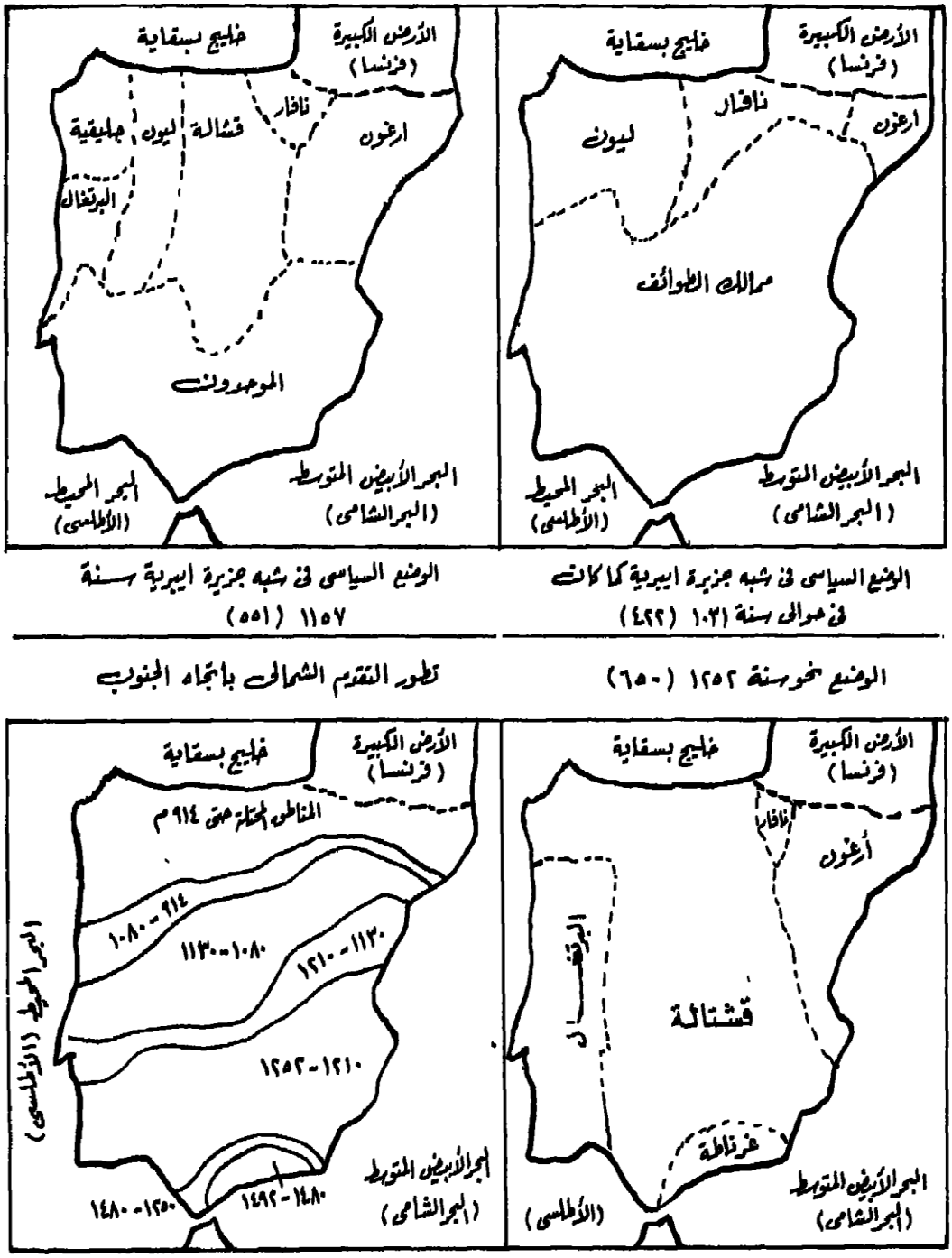

[1] عادل سعيد بشتاوي ، المرجع السابق ، ص 70 .

الملحق رقم 03:

مقتطف من وثيقة إدارية تثبت ما كان للمساجد الاندلسية من اوقاف تم الاستيلاء عليها عندما سقطت بيد الممالك النصرانية، ويعود تاريخها إلى سنة 1492م، ونصها المترجم:

" بتكليف من : Mosen Fernando de Cárdenas إلى خريج:

Almería دييجو ديفارغاس، وكيل توصيله، بناءً على طلب من المدينة المذكورة بحيث يقومون بالتعاون مع أحد المستفيدين من الكنيسة الرئيسية بإعطاء معلومات عن البساتين والأراضي بساتين الزيتون،إلخ...وأنه تم تسليمهم إلى الكنيسة المذكورة عندما كان مسجدًا ،وتحديد البضائع التي قد تكون كافية لإصلاح وتنظيف خنادق المدينة المذكورة أعلاه،لأنه قبل فتحها من قبل الملوك ،أصبح وكلاء المسجد – الذي أصبح فيما بعد كنيسة – كان لديهم مثل هذا الميراث ،ومع مقدارها توقف الخنادق المذكورة أعلاه"[1].

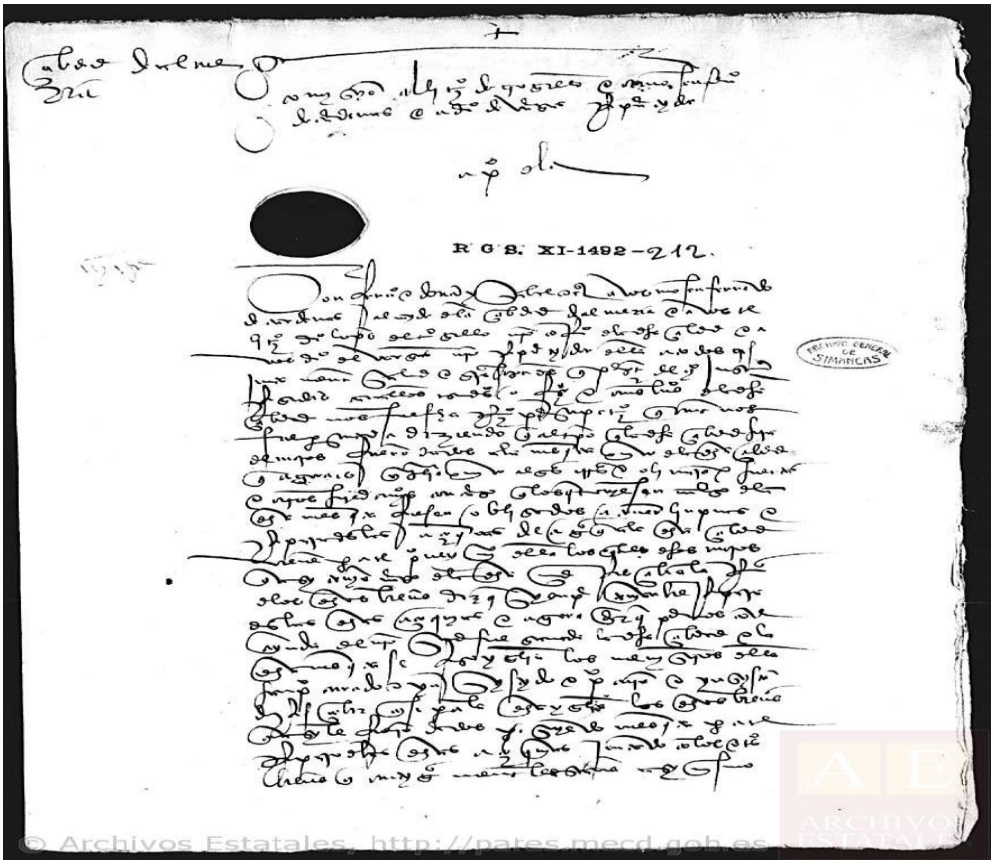

[1] PortadadelArchivo General de Simancas, http://www.culturaydeporte.gob.es/cultura/areas/archivos/mc/archivos/ags/portada.

الملحق رقم 04 :

صورة مسجد "باب المردوم" بمدينة طليطلة الذي حول الى كنيسة" نور المسيح" في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي.

La mezquita de Bab al-Mardumesunaantiguamezquita de la ciudad de Toledo, transformada en la iglesia Cristo de la Luz,[1]

[1] https://ilutravel.com/toledo/: مجلة المواقع الاثرية والتاريخية

تم الدخول على الساعة: 11:00 والخروج على 13:30

الملحق رقم 05 :

صورة لكاتدرائية القديسة سانتا مريا في إشبيلية، المعروفة صومعته باسم الجرالدة (La Giralda)، واصلها جامع إشبيلية الأعظم في العصر الموحدي، وتم تحويله إلى كنيسة في عصر فرناندو الثالث ملك قشتالة[1].

[1] مجلةالمواقع الاثرية https://es.123rf.com/photo_41172497_la-giralda-sevilla-spain.html والتاريخية: تم الدخول على الساعة: 11:00 والخروج على 13:30:

الملحق رقم 06 :

مقتطف من وثيقة إدارية تثبت تحذير أحد الإداريين من ترك المدجنين والمغاربة من حمل السلاح في المدن التي تم الاستيلاء عليها، وهي تعود إلى سنة1488م بمرسية، ونصها المترجم:

"...حتى أنه يمنع على المدجنين المغاربة من حمل السلاح في المدن والاماكن التي سيطر عليها سموه "، الملوك."

"Para que los moros mudéjares de los lugares y ciudades que Su Alteza ha ganado, no puedantraer armas'.-Reyes." [1]

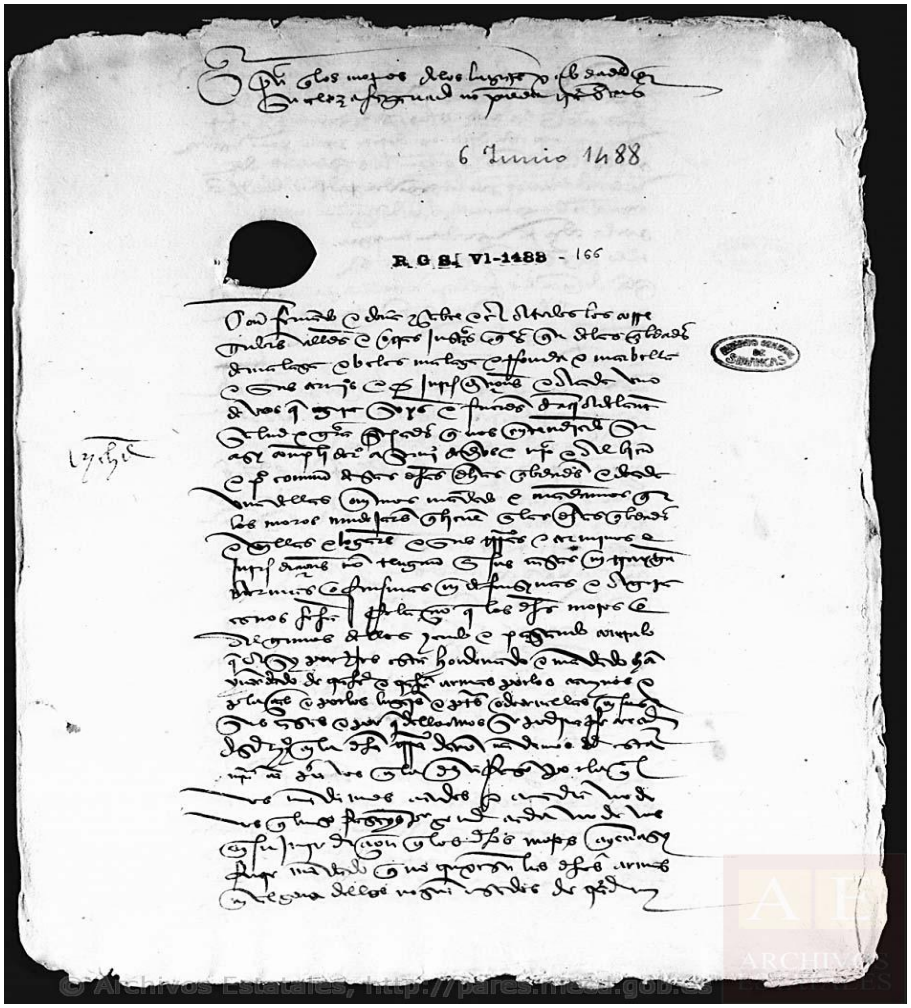

[1] PortadadelArchivo General de Simancas, http://www.culturaydeporte.gob.es/cultura/areas/archivos/mc/archivos/ags/portada.

الملحق رقم 07 :

صورة لكنيسة القديسة سانتا مريا في شاطبة، واصلها مسجد شاطبة الشهير، والذي تعرض للكثير من التغييرات الهندسية بعد استيلاء النصارى على المدينة في عهد خايمي الاول ملك اراغون.

Es el edificiomás importante de la ciudad. Al serconquistada la ciudadde Játivapor el rey Jaime I de Aragón, la antiguamezquitamayor es convertida en iglesiacristiana y dedicada a Santa Marí a, comoeracostumbre en el rey[1].

[1] https://www.carlosdeviaje.com: مجلة المواقع الاثرية والتاريخية

تم الدخول على الساعة: 10:00 والخروج على 12:30

الملحق رقم 08 :

صورة لكنيسة القديس خوان سانتوس في بلنسية، واصلها مسجد بلنسية الكبير، والذي تعرض للكثير من التغييرات الهندسية بعد استيلاء النصارى على المدينة.

(Iglesia de Santos Juanes, Sight-seeing, Attractions in Valencia, Spain)
the first church was built in 1240 on the site of an old mosque. It was consequently modified in 14th and 16th centuries, with the baroque element appearing in 17th century.[1]

[1] موقع دليل السياحة الالكتروني http://www.valenciavalencia.com/sights-guide/sights-listings في بلنسية، تم الدخول على الساعة: 10:00 والخروج على 12:30.

الملحق رقم 09:

صورة كاتدرائية سيدة الانتقال، وأصلها جامع قرطبة الأعظم
(Catedral de Nuestra Señora de la Asunción)[1]

[1] https://info.arte.tv/fr/espagne-comment-leglise-sest-accapare-la-mosquee-de-cordoue.13:30 مجلة المواقع الاثرية والتاريخية: تم الدخول على الساعة: 11:00 والخروج على

الملحق رقم 10:

مقتطف من وثيقة إدارية تبين تعامل النصارى مع جماعات المغاربة المسلمين، وفيها إشارة إلى ما يسلب منهم من ملابس ومتاع، وهي تعود إلى سنة 1495م.

Al corregidor de Trujillo, sobre la ropa que la aljama de los moros de dichaciudaddio, ordenándole que acercade elloguardecierta carta delConsejo, inserta, de 5 de marzo de 1495 [1].

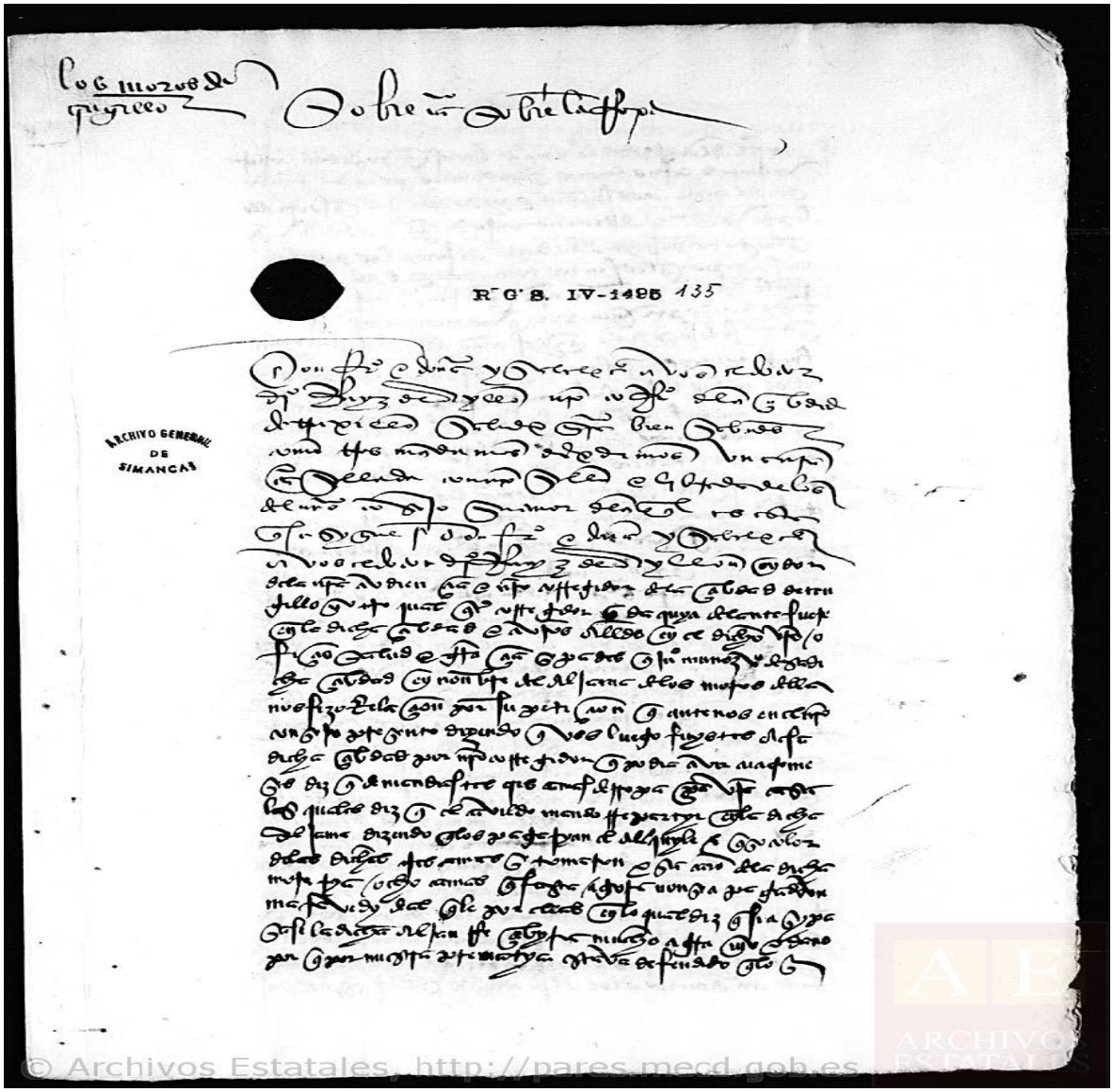

[1] PortadadelArchivo General de Simancas, http://www.culturaydeporte.gob.es/cultura/areas/archivos/mc/archivos/ags/portada.

قائمـــــــة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع :

أ- المصادر :

1- ابن الأبّار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبو بكر القضاعي المعروف ت 658ه)، الحلة السيراء، ج2، تح وتع، حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985.

2- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الملقب بعز الدين ت 630ه) ، الكامل في التاريخ، مرا وتص، محمد يوسف الدّقاق، مج9، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

3- ابن بشكوال(خلف بن عبد الملك بن مسعود ت 578ه)، كتاب الصلة ومعه كتاب صلة الصلة لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي، تح، شريف أبو العلا العدوي، مج1،ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م.

4- البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد ت 487ه)، المسالك والممالك، تح، جمال طلبة، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2033م.

5- الجوهري (اسماعيل بن حمّاد الجوهري)، الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، تح، أحمد عبد الغفور عطّار، ج1، ط2، دار العلم للملايين، القاهرة، 1979م.

6- الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي ت 626ه)، معجم البلدان، مج1، دط، دار صادر، بيروت، 1977.

7- الحميدي (أبو عبد الله محمد بن الفتوح بن عبد الله ت 488ه)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح وتع، بشار عواد معروف، محمد بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م.

8- الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح، احسان عبّاس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.

9- ابن حيّان (أبو مروان حيان بن خلف ت 469ه)، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تح، محمود علي مكّي، دط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1994م.

10- ابن الخطيب (محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني الخطيب ت 776ه)، معيار الإختيار في ذكر المعاهد والدّيار، تح، محمد كمال شبّانة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.

11- ، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط- أعلام الأعمال، تح و تع، أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م.

12- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمدبن خلدون الحضرمي الإشبيلي ت 808ه)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم منذوي الشأن الأكبر، مرا، سهيل زكّار، ج6، دار الفكر للطّباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421ه/2000م.

13- الرعيني (أبوالحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الإشبيلي ت 666ه)، برنامج شيوخ الرعيني، تح، إبراهيم شبوح، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1962م.

14- الزّبيدي (محمد مرتضى الحسيني الزبيدي)، تاج العروس من جواهر القاموس، ج2، تح، علي هلالي، مرا، عبد الله العلايلي، عبد الستار أحمد فرّاج، ط2، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، 2004م.

15- ابن أبي زرع الفاسي (أبو الحسن علي بن عبد الله ت 741ه)، الأنيس المطرب بروض القرطاس، دط، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

16- ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دط، دار المنصور، الرباط، 1972م.

17- الزّمخشري (أبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزّمخشري ت 538ه)، أساس البلاغة، تح، محمد باسل عيون السّود، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

18- الزهري (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ت منتصف القرن السادس هجري)، كتاب الجغرافية، تح، محمد حاج صادق، دط، مكتبة الثقافة العربية، بور سعيد، دس.

19- ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تح و تع، شوقي ضيف، ج2، ط4، دار المعرف، القاهرة، 1955م.

20- السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد النّاصري) ، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2، تح، جعفر الناصري، دط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م.

21- ابن السمّاك (أبو القاسم محمد بن أبي العلاء محمد المالقي الغرناطي) ، الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المؤثورة، مج21، مجلة المعهد المصري، مصر، 1989-1990م.

22- الشنتريني (أبي الحسن علي بن بسّام ت 542ه)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح، إحسان عبّاس، مج1، دط، دار الثقافة، بيروت، 1997م.

23- ابن صاحب الصلاة (عبد الملك بن صاحب الصلاة ت 591ه)، المن بالإمامة، تح، عبد الهادي التّازي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.

24- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4، تح و مرا، إحسان عباس، ط3، دار الثّقافة، بيروت، 1983م.

25- العذري (أحمد بن عمر بن أنس ت 478ه) ، نصوص عن الأندلس، تح، عبد العزيز الأهواني، معهد المنشورات الإسلامية، مدريد، دس.

26- ابن عسكر (ابو عبد الله بن عسكر ت 636ه) ، (أبي بكر بن خمسي)، أعلام مالقة، تق و تخ وتع، عبد الله المرابط الترغي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م.

27- ابن فارس (أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا ت 395ه)، معجم مقاييس اللّغة، تح، عبد السلام محمّد هارون، ج1، دط، دار الفكر للطّباعة والنشر والتوزيع، دم، 1979م.

28- ابن الفرضي (ابو الوليد عبد الله بن محمد ت 403ه)، تاريخ علماء الأندلس، تح وتع، بشار عوار معروف، مج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م.

29- ابن فضل العمري (شهاب الدين أحمد بن يحي ت 749ه)، مسالك الأبصار في مسالك الأمصار، تح، كامل سلمان الجبوري، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م.

30- الفيّومي (أحمد بن محمد بن علي المقري الفيّومي ت 770ه)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرّافعي، تح، عبد العظيم الشّناوي، ط2، دار المعارف، القاهرة، دس

31- ابن القاضي (أحمد المكناسي ت 1065ه)، جذوة الإقتباس في ذكر ماحلّ من أعلام مدينة فاس، دط، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م.

32- ابن الكردبوس (أبي مروان بن عبد الملك بن الكردبوس التوزري)، تاريخ الأندلس، تح، أحمد مختار العبّادي، دط، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971م.

33- مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تح و تر، لويس مونيلا، ج1، دط، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1983م.

34- ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح، سهيل زكّار، عبد القادر زمان، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1399ه.

35- محمد الغسّاني الأندلسي، رحلة الوزير في إفتكاك الوزير، تق، نوري الجرّاح، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،2002م.

36- المراكشي (أبي عبد الله محمّد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي ت 703ه)، الذيل والتكملة، تح وتع، إحسان عبّاس وآخرون، مج4،ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012م.

37- المراكشي عبد الواحد (أبو محمد بن علي ت 647ه) ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شر، صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2006م.

38- المقري (أحمد بن محمد بن محمد التلمساني ت 1041ه) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح، إحسان عبّاس، مج1، دط، دار صادر، بيروت، 1968م.

39- الونشريسي (أبو العبّاس أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني الونشريسي ت 914ه)، أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النّصارى و لم يهاجر وما يترتّب عليه من العقوبات والزّواجر، تح، حسين مؤنس، دط، مكتبة الثّقافة الدّينية، بور سعيد، 1996م.

ب- المراجع :

40- أرنيال مرثيدس غارسيا ، شتات أهل الأندلس، تر، محمد فكري عبد السميع، مرا، جمال عبد الرحمن، ط1، المجلس الأعلى للثّقافة، القاهرة، 2006م.

41- أشباخ يوسف ، تاريخ الأندلس في عهد الدولتين المرابطين والموحدين، تر وتع، محمد عبد الله عنّان، سليمان العطار، ج2، ط2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011م.

42- أورتيت أونطونبو دومينيغيث ، برنارد فانسون، تاريخ المورسكيين حياة ومأساة أقليّة، تر، محمد بنيانة، ط1، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، أبوظبي، 2013م.

43- بالنثيا أنخل جنثالث ، تاريخ الفكر الأندلسي، تر، حسين مؤنس، دط، مكتبة الثقافة الدينية، البور سعيد، دس.

44- بخاري عمر ، الإمارات البربرية الصغرى في جنوب الأندلس وعلاقاتهم بملوك الطوائف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، دط، كنوز للإنتاج والنشر والتوزيع، تلمسان، الجزائر، دس.

45- بشتاوي عادل سعيد ، الأندلسيون المواركة، دط، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، 2001.

46- بورنات براتشينا دون باسكوال ، المورسكيون الإسبان ووقائع طردهم، تر، كترة الغالي، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م.

47- التّازي عبد الهادي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مج4، دط، مكتبة الإسكندرية، د.دن، دس.

48- الترمانيني عبد السلام ، أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين، ج3، مج1، ط1، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1994م.

49- التّميمي عبد الجليل ، تراجيديا طرد المورسكيين من الأندلس والمواقف الإسبانية منها، دط، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس،2011م.

50- توفيق عمر إبراهيم ، صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجرة سياسيا وإجتماعيا وإقتصاديا، دط، د.د ن، دس.

51- حتامله محمد عبده،الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، دط، المكتبة الوطنيّة، الأردن، 2000م.

52- ، محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها، ط1، مطابع دار الشعب، الأردن، 1977م.

53- حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، ج1، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000م.

54- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م.

55- حومد أسعد، محنة العرب في الأندلس، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1988م.

56- دوزي رينهارت ، المسلمون في الأندلس، تر وتع و تق، حسن حبشي، ج3، دط، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، 1990م.

57- ذو النون عبد الحكيم ، آفاق غرناطة (البحث في التاريخ السياسي والعربي)، ط1، دار المعرفة، دمشق، 1989م.

58- رزوق محمد، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين16-17م،ط4، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014م.

59- زغروت فتحي ، الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين (المغرب والأندلس)، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2005م.

60- أبو رميلة هشام ، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط1، دار الفرقان، الأردن، 1984م.

61- الزّيدي مفيد، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2003م.

62- سالم عبد العزيز السيد، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج1، دط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م.

63- ، تاريخ مدينة ألميرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1964م.

64- ، تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الاندلس في العصر الإسلامي، ج1، دط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دس.

65- السرجاني راغب، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ج1،ط1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجنة، القاهرة، 2011م.

66- السيّد كمال، دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة، دط، مكتبة الإسكندرية، دم، 1997م.

67- شبارو عصام محمد ، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود(91-797ه/710-1492م)، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2002م.

68- شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية،ج1،ط1،المطبعة الرحمانية بمصر، 1936م.

69- صبح محمد محمود ، قرطبة في التاريخ الإسلامي، دط، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، 1986م.

70- الطيبي أمين توفيق، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، دط، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1984م.

71- العبادي أحمد مختار ، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ط1، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000م.

72- عبد المنعم حمدي ، التاريخ السياسي والحضاري، للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دط، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1977م.

73- عطيّة القوصي، دفاع المسلمين عن عقيدتهم في العصور الوسطى، ط1، دار الفكر الغربي، القاهرة، 2012م.

74- علي محمد كرد ، غابر الأندلس وحاضرها، دط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013م.

75- عنّان محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس، ج1، ج3، ج4، ج5، ط4،مكتبة الخانجي، القاهرة ، 2001م.

76- العيدروس محمد حسن ، العصر الأندلسي نهاية دول الطوائف، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2011م.

77- أبو الفضل محمد أحمد ، تاريخ مدينة ألميرية الأندلسية في العصر الإسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، دط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996م.

78- الفقّي عصام عبد الرؤوف ، تاريخ المغرب والأندلس، دط، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1990م

79- كار ماثيو ، الدّين والدّم إبادة شعب الأندلس، تر، مصطفى قاسم، مرا، أحمد خريس، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، أبوظبي، 2013م.

80- الكتّاني علي، إنبعاث الإسلام في الأندلس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.

81- الكحلوت يوسف شحدة ، الأخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف، دط، د.د ن، 2010م.

82- الكعبي علي عطيّة ، التعايش السلمي بين الأديان السماوية في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى نهاية دول الطوائف، ط1، دار الكتب والوثائق، بغداد، 2014م.

83- كنده خوسيه أنطونيو ، تاريخ حكم العرب في إسبانيا، تر، لارا نيكولا قاليه، مرا، أحمد أيبش، ط1، دار الكتب الوطنية، أبوظبي، 2013م.

84- لنغاس بدرو، حياة المورسكيين الدّينيّة، تر، جمال عبد الرحمن، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010م.

85- لين بول ستانلي ، قصّة العرب في إسبانيا، تر، علي الجارم بك، دط، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2012م.

86- مؤنس حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مرا، عادل أبو المعاطي، محمد دياب، دار الرشاد، القاهرة، 1997م.

87- ، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد النّصارى سنة 512ه/1118م، دط، مكتبة الثقافة الدينية، البور سعيد، 1992م.

88- مسعد سامية مصطفى ، التكوين العنصري للشعب وأثره على سقوط الأندلس، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، 1424ه/2004م.

89- نعنعي عبد المجيد، الإسلام في طليطلة، دط، دار النهضة العربية، بيروت، دس.

90- وات مونتغمري ، في تاريخ إسبانيا الإسلامي، تر، محمد رضا المصري، ط2، شركة المطبوعات للنّشر والتوزيع، بيروت، 1998م.

91- ويشو برنهالد والن، إسبانيا العربية(الأندلس) إضاءات على تاريخها وفنونها، تر، صفاء كنج، مرا، أحمد أيبش، ط1، دار الكتب الوطنية، أبوظبي، 2014م.

92- يوسف حسين، المسلمون المدجّنون في الأندلس، ط1، مطبعة الحسين الإسلامية، الأزهر، 1993.

ج- الرسائل الجامعية :

93- بوصوف فضيل ، العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر ملوك الطوائف، ق5ه/11م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011/2010م.

94- حاكمي الحبيب ، الإسهام العلمي للبربر في الأندلس على عهد الموحدين من منتصف القرن السادس إلى مطلع السابع الهجريين (ق12-13م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة وهران، الجزائر، 2009-2010م.

95- الحسّاني فايزة ، تاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة الأموية حتى سقوطها(316-512ه/928-1118م دراسة سياسية وحضارية، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، المملكة السعودية، 1429-1430ه.

96- عبد القادر بوحسن ، الأندلس في عهد بني الأحمر دراسة تاريخية وحضارية(635-897ه/1238-1492م)، أطروحة دكتوره في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة |أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2012-2013م.

97- عيساوة محمد، خياة البذخ وإنعكاساتها على المجتمع الأندلسي خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين (10-11م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعةبوزريعة، الجزائر، 2012-2013م.

د- المقالات :

98- البدوي آمنة سليمان، الخطاب الإجتماعي، في شعر حصار بلنسية وسقوطها في القرن السابع الهجري، دراسات العلوم الإنسانية والإجتماعية، مج39، العدد2، 2012م.

99- البدوي آمنة سليمان ، تجلّيات سقوط المدن الأندلسية في الشعر الأندلسي من(456ه- نهاية القرن 7ه)، دراسات العلوم الإسلامية والإجتماعية، المجلّد40،العدد2، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، 2013م.

100-بنت منصور آمنة ، دور القصيدة الأندلسية في الدّفاع عن الدّين، دورية كان التاريخية، العدد11، 2011م.

101-الجبوري خليل خلف ، معالم من الحضارة العربية في الأندلس " الفنادق نموذجاً "، دورية كان التاريخية، العدد18، 2012م.

102-جغيل الشمري يوسف كاظم ، المعموري محمد عبد الله ، المورسكيّون في بلنسية دراسة في أوضاعهم السياسية والإقتصادية والإجتماعية(1525-1609م)، دورية جامعة بابل، مج5، العدد1، دس.

103-الدرويش جاسم ياسين،حسين جبّار العلوي، مدينة بيّاسة الأندلسية(92-623ه/711-1226م، دورية جامعة بابل،مج24، العدد4، 2016م.

104-راكة عمر ، العلاقات الدبلوماسية للدولة الموحدية بالممالك الإسبانية والبابوية، دورية كان التاريخية، العدد14، 2011م.

105-محمد بن حمو، الضرر على المساكن من خلال فقه عمارة المدن الإسلامية، دورية كان التاريخية، العدد38، القاهرة، 2017م.

106- محمّد عبد الله المعموري، يوسف كاظم جغيل الشمري، المورسكيّون في بلنسية (دراسة في أوضاعهم السياسية والإقتصادية والإجتماعية)، دورية مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج5، العدد1، بابل، دس .

107-محمد قطب عمر بكر ، الأبعاد النفسية للمحنة المورسكية، دورية كان التاريخية، العدد9، 2010م.

ه- المراجع باللغة الأجنبية :

110- DavilayCollado, la expulision de los mariscosespanoles, 1889

111- JoséMarí a, M, Historia de la España Medieval, EdicionesUniversidad de Salamanca, 22 sept. 2014

112- Fernando Aznar, España medieval, musulmanes, judí os y cristianos, Tapa blanda, España, 2004,

113- Julio ValdeónBaruque, La Reconquista, El concepto de España, unidad y diversidad, Ediciones, Espasa, España, 2006

114- Miguel Carlos, V Gómez, Reinado y diplomas de Sancho II de Castilla y León, Ediciones La Ergástula España, 2014

و- المواقع الإلكترونية :

115- http://www.valenciavalencia.com/sights-guide/sights-listings

116- https://www.carlosdeviaje.com

117- https://ilutravel.com/toledo/

118- https://es.123rf.com/photo_41172497_la-giralda-sevilla-spain.html

119- https://info.arte.tv/fr/espagne-comment-leglise-sest-accapare-la-mosquee-de-cordoue

120- http://www.culturaydeporte.gob.es/cultura/areas/archivos/mcarchivos/ags/portada

فهرس

الموضوعات

فـــــــهـــــــرس الموضوعـــــــــــــات

العـــنـــوان	الصفـــحة
كلـــمة شكـــر	/
إهداء	/
قـــائمة المختصـــرات	/
مـــقـــدمة	أ
الفصل التمهيدي : مقاربة عامة عن الأوضاع السياسية في الأندلس خلال ق 4 و مطلع ق 5 ه.	13
1- مكانة قرطبة الخارجيّة في ظلّ الخلافة الأموية	13
2- أثر سقوط الدولة الأموية على العلاقات الخارجية للأندلس	17
3- الصّراع بين ملوك الطوائف و توحّد الممالك النصرانية	21
4- استغـــاثـــة ملوك الطـــوائف بالمرابطين	25
الفصل الأول: الأوضاع السياسية للمدن الأندلسية في ظل هيمنة مملكتي قشتالة و أراغون	31
1- بروز ممالك شبه الجزيرة الأيبيرية وسقوط المدن الأندلسية	31
1-1- بروز ممالك شبه الجزيرة الأيبيرية	31
1-2- سقوط المدن الأندلسية	36
1-2-1- سقوط طليطلة	36
1-2-2- توالي سقوط المدن الأندلسية	39
2- الوضع السياسي للمدن الأندلسية تحت حكم مملكة أراغون	44

3- الوضع السياسي للمدن الأندلسية إبان الحكم القشتالي	48
4- ردود فعل الأقليات المسلمة إزاء السياسة النصرانية	52
الفصل الـــثانـــي : جوانب من الحياة الإجتماعية للمسلمين في الأندلس في ظلّ السيطرة النصرانية.	60
1- المسلمون المدجّنون بالأندلس	61
1-1- أسباب بقاء المدجّنين في الأندلس	63
2- أحوال المدجّنين في ظلّ حكم النّصارى وأهم القوانين الخاصّة بهم	66
2-1- أهم القوانين الخاصّة بالمسلمين المدجّنين	70
3- مناحي الحياة الدينية للمسلمين المدجّنين على عهد الممالك النصرانية	72
4- جوانب من المهن والصنائع لدى المدجنين	77
5- ذروة إضطهاد مسلمي الأندلس	82
خاتمـــة	91
الـــمـــلاحـــق	95
قـــائـــمـــة المصادر و المراجـــع	106
فهرس المـــوضوعـــات	119